عليٌّ وبنوه

في ظلِّ خلفاءِ المسلمين

تأليف

دكتور محمد يوسف النجرامي

الناشر

دار المدني بجدة

اشهد انا الدكتور/ محمد يوسف نجرامي مؤلف الكتاب افوض
حفيدي محمد/ احمد [illegible] لنشر الكتاب بموقع مؤسسة
الكتاب الحديثة العالمية

مؤلف الكتاب
دكتور/ محمد يوسف نجرامي
تحريراً في ٢١/ ٧/ ٢٠٢٢م

عليٌّ وبنوه
في ظل خلفاء المسلمين

الطبعة الأولى

١٤١١هـ = ١٩٩١م

مطبعة المدني

المؤسسة السعودية بمصر

٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت : ٨٢٧٨٥١

علي وبنوه

في ظل خلفاء المسلمين

تأليف

دكتور محمد يوسف النجرامي

الناشر
دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع
جدة شارع الصحافة حي مشرفة
ص . ب : ١٨٤٨٥ ت : ٦٧٠٠٧٨٨/٦٧١٣٤٢٤



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

إن هناك دعاية مكثفة من قِبَل أعداء الإسلام بأن تاريخنا الإسلامى مليء بالحقد والضغينة والخلافات الداخلية وذلك بناء على الروايات المبعثرة فى بطون أمهات كتب التاريخ والتى وُضِعت خصيصاً للطعن فى أصحاب النبى ﷺ تمهيداً لتقديم صورة الإسلام وأهله بالشكل الغير مناسب الذى لا يقبله لا العقل ولا الفكر السليم .

وهناك أمر يدعو إلى الغرابة والدهشة إذ أن المؤرخين من المسلمين قد قاموا بنقل تلك الروايات فى كتبهم بدون التأكد من صحتها أو الرجوع إلى تمحيصها أو تدقيقها كما أشار المؤرخ ابن خلدون : « أنه كثيراً ما وقع للمؤرخين أئمة النقل من المغالط فى الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثًا أو سميناً ولم يعروضها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة فضلوا عن الحق وتاهوا فى بيداء الوهم والغلط » .

وإن جماعة من المؤرخين قد ذكروا تلك الروايات في كتبهم معتمدين على وجودها فى كتب أسلافهم رغم عدم إيمانهم بها حيث يقول المؤرخ ابن كثير : « ولولا ابن جرير وغيره من الحفاظ والأئمة ذكر ما سقته » [1] .

إن هذا العمل قد دفع تلقائيًا إلى حشد كثير من الروايات الموضوعة التى تقدم تصورًا خاطئًا لأصحاب النبى ﷺ حيث يجد الإنسان نفسه حائراً أمام التناقض الكبير الموجود فى كتب التاريخ .

إن تاريخ الطبرى يعدّ من المصادر الأساسية للتاريخ الإسلامى ولكن رغم هذا فهو ليس خال من الروايات الموضوعة حيث أنه عقد فصلاً بعنوان : « شراء الجمل

---

(١) ابن كثير البداية والنهاية : ج ٨ ص ٢١٢ .

لعائشة رضى الله عنها وخبر الكلاب الحوأب » وأورد فى ضمنه رواية مؤداها بأن كلابًا نبحت لعائشة رضى الله عنها وهى فى طريقها إلى البصرة للقاء علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فسألت : أين نحن ؟ فقيل لها : عند ماء الحوأب فقالت : إنا لله وإنا إليه راجعون إنى لهية قد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول وعنده نساؤه : « ليت شعرى أيتكنّ تنبحها كلاب الحوأب » [١] .

وأورد ابن أبى الحديد نقلًا عن أبى مخنف فى شرحه لنهج البلاغة قول علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بأن الرواية الموضحة وردت في شأن عائشة رضى الله عنها هذا ما نصه : « وإنها التى تنبحها كلاب الحوأب » [٢] .

وإذا رجعنا إلى دراسة هذه الرواية فى ميزان النقد فنجدها عارية تمامًا عن الصحة إذ أن جميع رواتها الموجودين فى السند من غلاة الشيعة والمتهمين بالوضع كما يرى الإمام الذهبى فى : « ميزان الاعتدال » [٣] .

وعلى إفتراض صحة الرواية فإنها لم تُشر إلى أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها على الإطلاق بل ترمز إلى : « أم زمل » التى كانت جارية عند أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وأعتقتها ثم إنها عادت إلى قبيلتها وانضمت إلى رجال من قبائل هوازن وغطفان وأسد وطيىء لمحاربة المسلمين وأخيراً فقد قتلت فى تلك الحرب وأن النبى ﷺ قد أشار فى حديثه إلى تلك المرأة بأن كلاب الحوأب تنبحها وإن هذا ما يعتقد به أصحابه كما يقول ياقوت الحموى : « فقالوا يرون أنها التى عناها النبى ﷺ » [٤] .

ولكن الحاقدين على الإسلام قد نسبوا هذه الرواية إلى أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها لينالوا من شخصيتها وكما نسبوا إلى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه كلمة : « هذه المرأة » [٥] بأنه قد قالها فى حق عائشة رضى الله عنها بدلًا من أم المؤمنين ونقل ابن أبى

---

(١) تاريخ الطبرى : ج ٣ ص ١١ ، ١٨ والإمامة والسياسة لابن قتيبة : ج ١ ص ٦١ .

(٢) ابن أبى الحديد شرح نهج البلاغة .

(٣) الإمام الذهبى ميزان الاعتدال : ج ١ ص ١١٧ .

(٤) ياقوت الحموى معجم البلدان : ج ٢ ص ٣٥٢ .

(٥) تاريخ الطبرى : ج ٣ ص ١١ .

الحديد قول عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى شأن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ممتنًا عليها : « إنا أدخلناها فى حيزنا » [١] .

ويذكر ابن أبى الحديد فى شرحه لنهج البلاغة قول عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، معلقًا على خروج أم المؤمنين عائشة ومعها طلحة والزبير إذ يقول : « فخرجوا يجرون حرمة رسول الله كما تُجرّ الأَمة عند شرائها متوجهين بها إلى البصرة فحبسا نساءهما فى بيوتهما وأبرزا حبيس رسول الله لهما ولغيرهما » [٢] .

هل يقبل العقل صدور هذا الكلام من عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه الذي كان مثالا رائعًا للأخلاق والأدب وبالإضافة إلى ذلك فإنه كان يكن إحترامًا لأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها حيث يروى الرواة أنه عندما إنتهت معركة الجمل أتى عليّ إلى أم المؤمنين عائشة فقال : كيف أنت يا أُمة ؟ قالت بخير قال : يغفر الله لك . قالت : « ولك وعندما حانت ساعة رحيل أم المؤمنين سار عليّ معها مودّعًا ومشيّعًا أميالًا وسرّح بنيه معها بقية ذلك اليوم » [٣] .

وهناك روايات أخرى منسوبة إلى أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أوردها المؤرخون فى كتبهم بصورة تمسّ شخصية عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه إذ أنها قالت عندما وصل إليها الخبر بمبايعة عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه : « والله ليت أن هذه إنطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك » [٤] .

وكما يروى صاحب مقاتل الطالبين بأن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أنها عندما سمعت نبأ إغتيال عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه فسجدت للشكر [٥] .

الواقع أن هذا التصرف بعيد عن شخصية أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها التى عاشت فى كنف الرسول ﷺ .

---

(١) ابن أبى الحديد شرح نهج البلاغة خطبة رقم ٨٣ .

(٢) نفس المصدر خطبة رقم ١٧٥ .

(٣) ابن كثير البداية والنهاية : ج ٧ ص ٢٤٦ .

(٤) تاريخ الطبرى : ج ٣ ص ١٢ .

(٥) أبو الفرج الأصفهانى مقاتل الطالبين : ص ٢٤ .

يروى صاحب العقد الفريد أن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قد تأثرت كثيراً بموت علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه حتى أن أهل المدينة لاحظوا حزنها على ابن عم رسول الله ﷺ (١) .

وأنها رضى الله عنها كانت صاحبة المقولة المعروفة عندما إستشعرت بأن اسمها قد إستغل فى إشعال النار وتأجيج الخصومة فقالت : « والله لوددتُ أن مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة » (٢) .

هل من المعقول أن صاحبة هذه المقولة تطعن فى الشخص الذى كان من أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ ؟ إن شخصية عائشة رضى الله عنها كانت بعيدة تماما عن الخلافات الداخلية وإن اسمها قد إستغل من قِبَل أعداء الإسلام لإشعال الفتن بين المسلمين .

إن الروايات التى أوردها المؤرخون فى كتبهم الغرض منها الطعن فى أصحاب النبى ﷺ وإشعال الفتن بينهم وهم منها براء هى محل النظر عند علماء الجرح والتعديل .

إن المؤرخ الطبرى قد أورد فى كتابه رواية أخرى مختلقة من وضع الشيعة تمسّ شخصية الشيخين رضى الله عنهما خلاصتها أن النبى ﷺ عندما أعلن بإعطاء اللواء لفتح حصون اليهود فى غزوة خيبر لشخص يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله : « **فلما كان من الغد فقد تطاول لها أبو بكر وعمر فدعا عليًّا عليه السلام** » (٣) .

أليست العبارة المقوس عليها إجحافًا وشناعة فى حق الشيخين رضى الله عنهما ؟ .

إن أكبر دليل على وضع هذه الرواية بأن الراوى قد إستخدم كلمة « عليه السلام » عند ذكره علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه تمشيًا على درب الشيعة وتجاهل كلمة « رضى الله عنهما » - بعد اسم الشيخين - ومن ثم فإن الإمام الذهبى يقول متحدثا عن الراوى

---

(١) ابن عبد ربه العقد الفريد : ص ٤٣ .

(٢) ابن الأثير الكامل : ج ١٣٠ .

(٣) تاريخ الطبرى : ج ٢ ص ١٣٦ .

الأول لهذه الرواية وهو « عوف » « بأنه كان قدريًا رافضيًا شيطانًا » [١] .

وكما أن الراوى الثاني المسجل فى السند وهو ميمون أبو عبد الله تعد أحاديثه من المناكير كما يرى الإمام أحمد ويقول ابن معين عنه بأنه لا شيء .

الواقع أن مصادر التاريخ الإسلامى ومراجعه فى حاجة إلى تمحيص وتنقيح حتى تتضح الرؤية الصحيحة عن الأمور والحقائق التى عليها غبار كثيف من الروايات الموضوعة التىَ وضعها الوضاعون لتحقيق أهدافهم وأغراضهم وذلك للنّيل من جماعة هم صفوة البشر بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والذين إختارهم الله تعالىٰ لنقل رسالة الإسلام بعد وفاة النبى ﷺ .

إن هذا الكتاب ليس إلا جهدًا متواضعًا فى سبيل إيضاح حقيقة العلاقة الوطيدة التى كانت قائمة بين علىّ بن أبى طالب وابنيه : (الحسن والحسين) مع خلفاء المسلمين رضى الله عن الجميع معتمدًا على الروايات الصحيحة والتى قدمها الحاقدون والمعترضون بشكل غير لائق مما لا يقبله العقل ولا الفكر السليم .

وأخيرًا أن من الواجب أن أسجل شكرى العميق إلى كل من ساهم فى إخراج هذا الكتاب إلى الوجود وأخص بالذكر الأستاذين الجليلين : الأستاذ إبراهيم عطية البهواش ، والأستاذ محمد إبراهيم الشعبى اللذين قاما بتقديم توجيهاتهما العلمية وبمراجعة مسودّة الكتاب وكما أن الكاتب يقدم شكره الجزيل إلى أخته الفاضلة فريدة بنت شيخنا وأستاذنا الجليل عبد الماجد الندوى رحمة الله عليه التى قد أرهقت نفسها فى تبيض مسودة هذا الكتاب .

وأسأل الله العلى القدير ألا يحرمنى ثواب هذا العمل ، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم وذخرًا لى فى يوم الدين .

دكتور محمد يوسف النجرامي

١٤١٠/٨/١٣ هـ

الموافق ١٩٩٠/٣/١٠ م

جدة : المملكة العربية السعودية

---

(١) الإمام الذهبى ميزان الاعتدال : ج ٢ ص ٣٠٩ .

الفصل الأول

الرد على مزاعم الشيعة الباطلة فى وجود خلافات بين أبى بكر وعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنهما

بسم الله الرحمن الرحيم

مبايعة علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه
لأبى بكر رضى الله عنه بعد وفاة النبى ﷺ مباشرة

يروى التاريخ أن الأمة قد أجمعت على انتخاب أبى بكر رضى الله عنه لكى يتولّ أمور المسلمين بعد وفاة النبى ﷺ مباشرة حتى أن عليًا بن أبى طالب رضى الله عنه الذى كان يرى لنفسه أحقية الخلافة بعد وفاة النبى ﷺ لمكانته فى الإسلام وإصهاره للرسول وقرابته إليه [١] عندما سمع مبايعة أبى بكر رضى الله عنه أسرع إلى بيعته بدون تأخير نظرًا لمكانته فى الإسلام ومواقفه الجليلة إزاء القضايا الإسلامية فلقد كان أول من أسلم من الرجال وأسلم على يديه عدد من الصحابة وكان صاحب الرسول فى الهجرة حيث ورد ذكره فى القرآن الكريم : ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التوبة : ٤٠] وكان أكثر الناس صحبة للرسول عليه الصلاة والسلام فقال فيه : « إنى لا أعلم أحدًا كان عندى أفضل يدًا فى الصحبة منه » وقال : « لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لا تخذت أبا بكر خليلاً » وأن النبى ﷺ قال فى مرضه الذى توفى فيه : « مُروا أبا بكر فليصلّ بالناس » [٢].

أى أن الرسول ﷺ أنابه عنه ليكون إمامًا للناس فى الصلاة فلبث أبو بكر يصلى بالناس ثلاثة أيام صلّى بهم سبع عشرة صلاة يروى لنا ابن الأثير أن عليًا بن أبى طالب كان فى بيته إذ جاءه من أنبأه أن أبا بكر جلس للبيعة فخرج فى قميص له ما عليه إزار ولا رداء عجلاً كراهية أن يبطئ عنها حتى بايعه ثم جلس إليه وبعث إلى ثوبه فأتاه فتجلله ولزم مجلسه » [٣].

---

(١) ابن الأثير: الكامل . ج ٣ ص ٩٨ .

(٢) تاريخ الطبرى : ج ٢ ص ٢٣٠ .

(٣) ابن الأثير: الكامل . ج ٢ ص ٢٢٠ ، الطبرى : ج ٣ ص ٢٠٧ .

وفى رواية أخرى أن عمرو بن حريث قال لسعيد بن زيد : أشهدتَ وفاة رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، قال : فمتى بويع أبو بكر ؟ قال : يوم مات رسول الله ﷺ كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا فى جماعة قال فخالف عليه أحد ؟ قال : لا ، إلا مرتدًّا ، ومن قد كاد أن يرتد قال : فهل قعد أحد من المهاجرين ؟ قال : لا . تتابع المهاجرون على بيعته من غير أن يدعوهم [(١)] .

ويروى الحسن البصري عن قيس بن عبادة قال : « قال علىّ بن أبى طالب : إن رسول الله ﷺ مرض أيام وليالى وينادى للصلاة فيقول الرسول : مُروا أبا بكر فليصلّ بالناس فلمّا قبض رسول الله ﷺ نظرتُ فإذا الصلاة علم الإسلام وقوام الدين فرضينا لديننا من رضى رسول الله ﷺ لديننا فبايعنا أبا بكر [(٢)] » .

ويقول ابن خلدون فى تاريخه : « ولما قبض رسول الله ﷺ وكان أمر السقيفة كما قدمناه أجمع المهاجرون والأنصار على بيعة أبى بكر ولم يخالف إلا سعد إن صح خلافه فلم يلتفت إليه لشذوذه [(٣)] » .

إن الروايات الموضحة تؤكد مبادرة على بن أبى طالب رضى الله عنه لمبايعة أبى بكر رضى الله عنه والترحيب بها مثل قوله : « والله لا نقيلك ولا نستقيلك أبدًا قد قدمك رسول الله ﷺ لتوحيد ديننا فمن ذا الذي يؤخرك لتوجيه دنيانا » [(٤)] .

إن الشيعة يرون بأن مبايعة علىّ بن أبى طالب لأبى بكر رضى الله عنه كانت على تقية ولكن هذا الكلام بعيد عن الحقيقة حيث ثبت أن عليًّا والعباس بايعا أبا بكر وانقادا له وقالا له : « يا خليفة رسول الله » [(٥)] ولا يجوز الادعاء بأن باطنهما يختلف عن ظاهرهما .

---

(١) تاريخ الطبرى : ج ٢ ص ٢٣٦ .

(٢) ابن عبد البر : الاستيعاب فى معرفة الصحابة . ج ٢ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة . ج ٢ ص ٦٥ .

(٤) نقلا عن كتاب بعنوان : « نظام الخلافة فى الفكر الإسلامي » من تأليف الدكتور مصطفى حلمى . ص ٤٠ .

(٥) الأشعرى : اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع . ص ١٨٤ .

وأما بالنسبة الروايات التى وردت بشأن تخلف علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه عن مبايعة أبى بكر رضى الله عنه فإنها ضعيفة وشاذة على حد قول الباقلانى ومن ناحية أخرى فإنها تعارض تلك الروايات الكثيرة التى تتحدث عن مبايعة علىّ بن أبى طالب لأبى بكر رضى الله عنه .

ويتضح تقدير علىّ بن أبى طالب وإجلاله لأبى بكر رضى الله عنه بكل وضوح عندما عرض عمه العباس الخلافة عليه قائلاً : « أبسط يدك أُبايعك » [(١)] ولكن عليًا رفض هذا العرض مقدّرًا لمكانة أبى بكر رضى الله عنه فى الإسلام والمسلمين – وجاء نفس هذا العرض من قبل أبى سفيان ليس فى حب علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ولا اعترافا بمكانته الخاصة من النبى ﷺ بل عصبية لبنى عبد مناف حيث أنه رأى أن الخلافة تنتقل إلى رجل من بنى تيم هو أبو بكر ثم ستساق بعد أبى بكر إلى رجل من بنى عدى هو عمر فى حالة عدم تولية علىّ بن أبى طالب الخلافة ولكن عليًا أبى أن يستجيب له كما أَبى أن يستجيب لعمه العباس بنفس الشعور والاحترام الذى كان يكنّه لأبى بكر رضى الله عنه حيث يروى ابن أبى الحديد : « جاء أبو سفيان إلى علىّ عليه السلام فقال : وليتم على هذا الأمر أذل بيت فى قريش أما والله لئن شئت لأملأنّها على أبى فصيل خيلا ورجلا فقال علىّ عليه السلام طالما غششتَ الإسلام وأهله فما ضررتهم شيئًا لا حاجة لنا إلى خيلك ورجلك لولا أنّا رأينا أبا بكر لها أهلاً لما تركناه » [(٢)] .

إن هذا القول يؤكد بأن عليًا كان يعد الصدّيق أهلًا للخلافة وأحق الناس بها لفضائله الجمة ومناقبه الكثيرة حيث جاء فى شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد موقفًا مؤيداً لعلىّ بن أبى طالب ولابن عمة الرسول ﷺ الزبير بن العوام فى حق خلافة أبى بكر رضى الله عنه ما نصه : « وإنّا نرى أبا بكر أحق الناس بها إنه لصاحب الغار وثانى اثنين وإنّا لنعرف له سنه ولقد أمره رسول الله بالصلاة وهو حي » [(٣)] .

---

(١) دكتور طه حسين : علىّ وبنوه . ص ١٨ .

(٢) ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة . ج ١ ص ١٣٠ .

(٣) نفس المصدر : ج ١ ص ٣٣٢ .

ويقول الكاتب الشيعى أمير على بشأن مبايعة علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه لأبى بكر رضى الله عنه حيث يقول : « وافق على خلافة أبى بكر بعد وفاة الرسول ﷺ علىّ بن أبى طالب وأعضاء أسرة الرسول ﷺ برحابة صدر » (١) .

إن الروايات التى أسلفت ذكرها تؤكد مبادرة علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه لمبايعة أبى بكر رضى الله عنه برحابة صدر وقناعة كاملة .

---

(١) A SHORT HISTORY OF THE SARACENS P. 21

مساهمة علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى إدارة حكم أبى بكر رضى الله عنه

إن عليًا بن أبى طالب رضى الله عنه كان عضدًا لأبى بكر رضى الله عنه فى أداء مهام الدولة حيث أنه كان يرجع إليه ويستشيره فى قضاياها وكما أسند إليه بعض أدق أمور الحكم حيث يروى الطبرى بأن أبا بكر عيّن عليًا أحد النقباء على الجند الذين أعدهم للدفاع عن المدينة ضد هجمات المرتدين وذلك فى أول خلافته [١] وقد وضعه فى قائمة الأشخاص الذين كان يستشيرهم فى أمور الدولة حيث يقول الدكتور محمد حسين هيكل فى كتابه : (الصديق أبو بكر) كان عمر بن الخطاب أقرب المشيرين إلى قلبه وأرجحهم رأيًا عنده وكان عثمان وعلىّ وطلحة والزبير وغيرهم موضع تقديره واحترامه لا يقطع فى أمر برأى قبل مشورتهم [٢] .

يروى اليعقوبى فى تاريخه متحدثا عن أيام أبى بكر رضى الله عنه : « وأراد أبو بكر أن يغزو الروم فشاور جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ فقدّموا وأخروا فاستشار علىّ بن أبى طالب فأشار أن يفعل فقال : إن فعلت ظفرت ؟ فقال بشرت بخير فقام أبو بكر فى الناس خطيبًا وأمرهم أن يتجهزوا إلى الروم » [٣] .

وفى رواية أخرى ذكرها صاحب « تاريخ التواريخ » « سأل الصديق عليًا كيف ومن أين تبشر ؟ قال من النبى حيث سمعته يبشر بتلك البشارة فقال أبو بكر : سررتنى بما أسمعتنى من رسول الله يا أبا الحسن يسرك الله » [٤] .

وكما أن أبا بكر كان يرجع إليه فى الأمور الفقهية حيث ذكر اليعقوبى فى تاريخه

---

(١) تاريخ الطبرى : ج ٣ ص ٢٣٢ ، ابن خلدون : المقدمة . ج ٢ ص ٦٥ .

(٢) دكتور محمد حسين هيكل : الصديق أبو بكر . ص ٢٣٧ .

(٣) تاريخ اليعقوبى : ج ٢ ص ١٣٢ .

(٤) تاريخ التواريخ : ج ٣ ص ١٥٨ .

قائمة بالأسماء التى كانت مرجعًا فى الأمور الفقهية فى أيام أبى بكر رضى الله عنه وهم : علىّ بن أبى طالب ، وعمر بن الخطاب ، ومعاذ بن جبل ، وأُبىّ بن كعب وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود (١) .

يروى المفيد فى كتابه : « الإرشاد » بشأن رجوع أبى بكر رضى الله عنه إلى على ابن أبى طالب رضى الله عنه بخصوص الشخص الذى شرب الخمر جهلًا عن حرمتها هل كان يستحق أن يقام عليه الحد أو يخلى سبيله بحجة عدم بتحريمها ؟ ما نصه : « إن رجلاً رُفع إلى أبى بكر وقد شرب الخمر فأراد أن يقيم عليه الحد فقال : إنى شربتها ولا علم لى بتحريمها لأنى نشأتُ بين قوم يستحلونها ولم أعلم بتحريمها حتى الآن فارتج على أبى بكر الأمر بالحكم عليه ولم يعلم وجه القضاء فيه فأشار إليه بعض من حضر أن يستخبر أمير المؤمنين عليه السلام عن الحكم فى ذلك فأرسل إليه من سأله عنه فقال أمير المؤمنين : مُرْ رجلين ثقتين من المسلمين يطوفان به مجالس المهاجرين والأنصار ويناشدانهم هل فيهم أحد تلا عليه آية التحريم أو أخبره بذلك عن رسول الله ﷺ وآله ؟ فإن شهد بذلك رجلان منهم فأقم الحد عليه وإن لم يشهد أحد بذلك فاستشبه وخلّ سبيله ففعل ذلك أبو بكر فلم يشهد أحد من المهاجرين والأنصار أنه تلا عليه آية التحريم ولا أخبره عن رسول الله ﷺ وآله بذلك فاستتابه أبو بكر وخلّى سبيله وسلم لعلىّ عليه السلام فى القضاء به » (٢) .

ويقول الأستاذ وليم ميور بأن عليًا هو الذي كان يرد على رسائل أبى بكر بوجه عام (٣) إن الروايات المشار إليها توضح بأن عليًا قد ساهم مساهمة فعّالة فى إدارة حكم أبى بكر رضى الله عنه وكان وفيًا ومخلصاً فى أعماله الموكولة إليه من قِبَل الخليفة لكى لا ينتهز المخربون سبيلاً ويفسدوا أمور المسلمين عليهم .

---

(١) تاريخ اليعقوبى : ج ٢ ص ١٣٨ .

(٢) المفيد الإرشاد : ص ١٠٧ .

(٣) ANNALS OF THE EARLY CALIPHATE PAGE . 123

العلاقة الأخوية بين أبى بكر وبين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهما

تؤكد المصادر التاريخية أنه كان يوجد هناك روح التعاون والاحترام المتبادل بين أبى بكر وبين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهما وأن العلاقه كانت بينهما على أساس مصلحة الإسلام والمسلمين ومن هذا المنطلق فإن كُلًّا منهما يحترم ويقدر ظروف الآخر وأن عليًّا كان يبجّل أبا بكر حيث أنه كان صاحب رسول الله ﷺ ومن أقرب الناس إليه حتى أنه طلب من حسان بن ثابت رضى الله عنه إنشاد بعض الأبيات فى مدح أبى بكر رضى الله عنه وعندما سمعها النبى ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه ثم قال صدقت يا حسان هو كما قلتَ وإن عليًّا كان يدرك جيدًا منزلة أبى بكر عند رسول الله ﷺ ولذلك فإن عليًّا كان يحترمه ويوقّره وإن أبا بكر من ناحية أخرى كان يتعامل مع على بن أبى طالب كمعاملة الأب لابنه نظراً لفارق السن بينهما حيث أنه ساعده على زواجه من فاطمة رضى الله عنها كما يقول الملا المجلسى فى كتابه بعنوان : « جلاء العيون » ما نصه : « فقال أبو بكر : أشراف قريش طلبوا زواجها من النبى ولكن الرسول قال لهم بأن الأمر فى ذلك إلى الله ونظن أنها لعلىّ بن أبى طالب – وأما علىّ بن أبى طالب فلم يتقدم بطلبها إلى رسول الله لأجل فقره وعدم ماله ثم قال أبو بكر لعمر وسعد هيا بنا إلى علىّ بن أبى طالب لنشجعه ونكلفه بأن يطلب ذلك من النبى وإن مانعه الفقر نساعده على ذلك فأجاب سعد ما أحسن ما فكرت به فذهبوا إلى بيت أمير المؤمنين عليه السلام فلما وصلوا إليه سألهم ما الذى أتى بكم فى هذا الوقت ؟ قال أبو بكر : يا أبا الحسن ليس هناك خصلة خير إلا وأنت سابق بها فما الذى يمنعك أن تطلب من الرسول ابنته فاطمة فلما سمع علىّ هذا الكلام من أبى بكر نزلت الدموع من عينيه وسكبت وقال قشرت جروحى ونشبتَ وهيجت الأماني والأحلام التى كتمتها منذ أمد فمن الذى

لا يريد الزواج منها ؟ . ولكن يمنعنى من ذلك فقرى وأستحى منه بأن أقول له وأنا فى هذا الحال » [١] .

وكما أن أبا بكر وأصحابه قد شهدوا على زواج فاطمة رضى الله عنها من علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه حيث ذكر صاحب « كشف الغمة » قول النبى ﷺ بهذا الشأن : « قال أمرنى ربى أن أزوج فاطمة من علىّ ، فانطلق فادع لى أبا بكر وعمر وعثمان وعليًّا وطلحة والزبير وبعددهم من الأنصار قال فانطلقتُ فدعوتهم له فلما أن أخذوا مجالسهم قال رسول الله ﷺ وآله بعد أن حمد الله وأثنى عليه ثم إنى أُشهدكم أنى قد زوجتُ فاطمة من علِىّ على أربعة مثقال فضة » [٢] .

وبالإضافة إلى ذلك فأن عليًّا قد سمى أحد أبنائه على اسم أبى بكر رضى الله عنه كما يذكر المفيد وذكر اليعقوبى أن أبا بكر كان اسماً لأحد أبناء على بن أبي طالب رضى الله عنه [٣] .

إن الروايات الموضحة تدل بكل وضوح على الحب والود الذى كان يوجد بين الصحابيين الجليلين اللذين عاشا فترة من حياتهما بجانب الرسول ﷺ وحياتهما كانت مقتبسة من مشكاة النبوة ومن ثم فإن سيرتهما كانت بعيدة عن التنافس والسعى وراء السلطة بل إن العلاقة بينهما كانت قائمة على الروابط الأُخوية والإخلاص والتسابق والحض على الخير الذى يتجلى بكل وضوح عندما أراد أبو بكر أن يذهب إلى « ذى القصة » لمحاربة المرتدين ولكن عليًّا منعه بكل حزم من سفره إليها معتقدًا بأن بقاءه بالمدينة أولىٰ من ذهابه إليها نظراً لمصلحة الإسلام والمسلمين وقد أورد ابن كثير هذه الرواية ما نصها : « لما برز أبو بكر إلى ذى القصة واستوى على راحلته أخذ علىّ بن أبى طالب بزمامها وقال : إلى أين يا خليفة رسول الله ﷺ ؟ أقول لك ما قال رسول الله ﷺ يوم أُحد : « لمّ سيفك ولا تفجعنا بنفسك وارجع إلى المدينة فوالله لئن فجعنا بك

---

(١) الملا المجلسى : جلاء العيون . ج ١ ص ١٦٩ .

(٢) اربيلى : كشف الغمة . ج ١ ص ٣٤٨ ، ٣٤٩ . وبحار الأنوار : باقر المجلسى . ج ١ ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٣) تاريخ اليعقوبى : ج ٢ ص ٢١٣ .

لا يكون للإسلام نظام أبدا فرجع » [١].

يروى التاريخ بأن الحب والإخلاص الذى كان يوجد بين أبى بكر وعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنهما لم يقتصر بينهما بل أن أعضاء أسرتيهما كانوا فى موضع الإعجاب والتقدير عند كل منهما حيث أن أبا بكر يتعشى ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند عبد الله بن عباس [٢] وجاء فى البخارى نقلاً عن عقبة بن الحارث رضى الله عنه قال : « صلى أبو بكر العصر ثم خرج يمشى فرأى الحسن يلعب مع الصبيان فحمله على عاتقه وقال بأبى شبيه بالنبى لا شبيه بعلىّ وعلىّ يضحك » [٣].

وكانت العلاقة بينهما وطيدة إلى درجة أن زوجة أبى بكر أسماء بنت عميس هى التى كانت تمرض فاطمة بنت النبى عليه السلام ورضى الله عنها فى مرض موتها وكانت معها حتى الأنفاس الأخيرة وشاركها فى غسلها وترحيلها إلى مثواها [٤].

ويقول صاحب « جلاء العيون » إن أسماء زوجة أبى بكر كانت عند فاطمة حتى النفس الأخير وهى التى نعت عليًّا بوفاتها [٥].

وإن أبا بكر كان دائم الاتصال بعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى مرض فاطمة رضى الله عنها حيث كان يسأل عن حالة فاطمة كما جاء فى كتاب سليم بن قيس : فمرضت فاطمة رضى الله عنها وكان علىّ عليه السلام يصلى فى المسجد الصلوات الخمس فلما صلى قال له أبو بكر وعمر : كيف بنت رسول الله ؟ [٦].

وعندما انتقلت فاطمة رضى الله عنها إلى رحمة الله تعالىٰ وقد صلى أبو بكر على

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية . ج ٦ ص ٣١٤ .

(٢) المفيد الإرشاد : ص ١٤ .

(٣) صحيح البخاري : كتاب المناقب باب صفة النبى ﷺ .

(٤) الطوسى : الأمالى . ج ١ ص ١٠٧ .

(٥) باقر المجلسى : جلاء العيون . ص ٢٣٧ .

(٦) كتاب سليم بن قيس : ص ٣٥٣ .

جنازتها كما يقول ابن أبى الحديد نقلا عن الكتاب « الشافى » للشريف المرتضى الذى سمع من قاضى القضاة بأن أبا بكر قد صلى على جنازه فاطمة وكبّر أربع مرات [١] .

ويروى التاريخ بأن عليًا قد أبدى حزنه العميق لوفاة أبى بكر رضى الله عنه وفى نفس الوقت قد قام بالتمجيد والثناء على الأعمال التى قدمها أبو بكر للإسلام كما يتضح من الكلمات التي قالها عند وفاته ما نصها: « رحمك الله أبا بكر كنت والله أول القوم إسلامًا وأكملهم إيمانا وأشدهم يقينًا وأخوفهم لله وأحوطهم على رسول الله ﷺ وأشبههم به هديًا وخُلقًا وسمتًا وفضلاً وأكرمهم عليه وأوثقهم عنده فجزاك الله عن الإسلام خيرًا صدّقت رسول الله ﷺ حين كذّبه الناس فسماك الله فى كتابه صديقًا : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر : ٣٣] واسيته حين تخلفوا وقمتَ معه حين قعدوا وصحبته فى الشدّة حين تفرّقوا أكرم الصحبة ثانى اثنين وصاحبه فى الغار ورفيقه فى الهجرة والمنزّل عليه السكينة وخلفته فى أمته بأحسن الخلافة فقويت حين ضعف أصحابك وبرزت حين استكانوا وقمت بالأمر حين فشلوا ومضيت بقوة إذ وقفوا كنت أطولهم صمتًا وأبلغهم قولًا وأشجعهم قلبًا وأحسنهم عملاً .

كنت كما قال رسول الله ﷺ ضعيفًا فى بدنك قويًا فى أمر ربك متواضعًا فى نفسك عظيمًا عند الله محبوبًا إلى السموات والأرض فجزاك الله عنا وعن الإسلام خيرًا » [٢] .

---

(١) ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة . ج ٢ ص ٨٨٠ .

(٢) محمد بن أبى بكر بن عبد الله بن موسى الأنصارى التلمسانى الشهير بالبرى : الجوهر فى نسب النبى وأصحابه العشرة . ج ٢ ص ١٢٦ .

موقف أبى بكر رضى الله عنه من موضوع فدك

إن موضوع فدك قد نال إهتمامًا كبيرًا فى الفكر الشيعى الذى إتهم أبا بكر بالخيانة وإغتصاب أموال ورثة النبى ﷺ ولكن الواقع يختلف عن ما يزعمه الشيعة حيث أن الموضوع يحتاج إلى الدراسة والدقة بدلًا من الطعن والتجريح فى شخص كان من أقرب الناس إلى قلب رسول الله ﷺ .

وإن حب أبى بكر وإخلاصه للرسول ﷺ لا يخفى على أحد ومن ثم فإنه كان متمسكًا بتنفيذ تعليمات النبى ﷺ حتى بعد وفاته كما يتضح من إصراره على إرسال جيش أسامة بن زيد الذى جهزه الرسول ﷺ لمحاربة الروم رغم إعتراض بعض أصحاب النبى ﷺ ولكنه وجه إليهم قائلًا : « لا إله إلا هو ما رددت جيشًا وجهه رسول الله ﷺ ولا حللت لواء عقده »[١] .

وجاء فى الكامل فى التاريخ لابن الأثير : « فقال الناس لأبى بكر : إن هؤلاء يعنون جيش أسامة جند المسلمين والحرب على ما ترى قد إنتقضت بك فلا ينبغى أن تفرق جماعة المسلمين عنك فقال أبو بكر : والذى نفسى بيده لو ظننت أن السباع تخطفنى لأنفذت جيش أسامة كما أمر النبى ﷺ[٢] وكما أبقى (أسامة) أميرًا على الجيش برغم إعتراض المعترضين ومنهم عمر بن الخطاب الذى كان يظاهر الأنصار الذين كانوا يعارضون بشدة فى تأميره لحداثة سنه[٣] » .

إن الروايات التى أسلفت ذكرها تؤكد بأن أبا بكر كان مصرًا على تنفيذ تعليمات النبى ﷺ بعد وفاته رغم معارضة بعض أصحابه حيث أنه قد أبدى تصلب

---

(١) جلال الدين السيوطى : تاريخ الخلفاء . ص ٢٨ .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ . ج ٢ ص ٣٣٤ انظر كذلك الطبرى : ج ٣ ص ٢٢٥ .

(٣) حسن إبراهيم حسن : زعماء الإسلام : ص ٧٧ .

موقفه أمام المعارضين وأن موقفه من موضوع فدك لا يختلف عن ما قام به مع جيش أسامة بن زيد وقد منع بنته عائشة وحفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن ترثا من مال النبى ﷺ وذلك بناء على قول النبى ﷺ « لا نورث ما تركنا صدقة إنما يأكل آل محمد من هذا المال » (١) .

وفى رواية أخرى قال : « سمعت أن النبى لا يورث ولكن أعول ما كان الرسول ﷺ يعول وأنفق على من كان رسول الله ﷺ ينفق عليه » (٢) .

وإن فاطمة بنت رسول الله ﷺ قد رحبت بموقف أبى بكر رضى الله عنه بهذا الشأن بكل سرور كما جاء فى شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحرانى ما نصه : « إن أبا بكر قال لها : إن لكِ ما لأبيكِ كان رسول الله ﷺ وآله يأخذ من فدك قوتكم ويقسّم الباقى ويحمل منه فى سبيل الله أن أصنع بها كما يصنع فرضيت بذلك وأخذت العهد عليه به » (٣) .

إن أبا بكر قد نفذه مما إخذه على نفسه من العهد تجاه فاطمة بنت رسول الله ﷺ كما جاء فى شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد : « إن أبا بكر كان يأخذ غلتها أى فدك فيدفع إليهم (أهل البيت) منها ما يكفيهم ويقسم الباقى فكان عمر كذلك ثم كان عثمان كذلك ثم كان علىّ كذلك » (٤) .

إن أبا بكر لم يقتصر على هذا بل إنه عين عليًا لتوزيع أموال الخمس والفىء : « وكان علىّ هو القاسم والمتولى فى عهده على الخمس والفىء » (٥) .

إن موضوع فدك له جانب آخر من الدراسة التى تدور حول ملكية فدك هل

---

(١) صحيح البخارى : باب غزوة خيبر .

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل : ج ١ ص ١٠ .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحرانى : ج ٥ ص ١٠٧ .

(٤) ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة : ج ٣ .

(٥) نفس المصدر : ج ٤ ص ١١٨ .٧٧٠

إنها كانت ملك خاص للرسول ﷺ ؟ أو إنها دخلت فى حوزة المسلمين عنوة أو عن طريق الصلح حتى أصبحت مِلكًا للمسلمين ؟ .

من الأفضل أن نرجع إلى المصادر التاريخية بهذا الشأن لكى يتضح لنا حقيقة فدك هل إن المسلمين قد حصلوا عليها عنوة ؟ أو عن طريق الصلح ؟ فإن المؤرخين قد اتفقوا على أن المسلمين قد حصلوا عليها عن طريق المفاوضات حيث يقول البلاذرى فى هذا الشأن : « بعث رسول الله بعد منصرفه من خيبر إلى أرض فدك محيصة بن مسعود ورئيس فدك يومئذ يوشع نون اليهودى يدعوهم إلى الإسلام فوجدهم مرعوبين خائفين لما بلغهم من أخذ خيبر فصالحوه على نصف الأرض بتربتها فقبل ذلك منهم » (١) .

إن هذه الرواية توضح بأن (فدك) دخلت فى حوزة المسلمين عن طريق الصلح وإنها ليست مِلكًا خاصًّا للرسول ﷺ كما يدعى الشيعة حيث أن عليًّا لم ينفذ قانون الميراث فى فدك فى أيام ولايته وكما أن ابنه الحسن سلك فى هذا الشأن منهج أبيه .

الواقع أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ طلبت ميراثها فى فدك على أساس أنها لاحظت بأن رسول الله ﷺ كان ينفق جزءًا منها على حوائجه ومن هنا دار فى خلدها بأن (فدك) ملك خاص بابيها ولكن الواقع كان يختلف عن هذا تماماً حيث أن النبى ﷺ قد حدد جزءًا من مال (فدك) لنفقته الخاصة وينفق باقيها على الآخرين كما جاء فى فتوح البلدان « فكان نصف فدك خالصًا لرسول الله وكان يصرف ما يأتى منها إلى أبناء السبيل (٢) .

وفى رواية أخرى : « إن فدك كانت للنبى ﷺ فكان ينفق منها ويأكل ويعود على فقراء بنى هاشم ويزوج أيمهم » .

يتضح من الرواية المشار إليها بأن النبى ﷺ قد خصص جزءًا من مال فدك لنفقته الخاصة أن هذا كان سببًا للبس على فاطمة رضى الله عنها كما أشار إليه شيخ الإسلام ابن القيم : « فهو ملك يخالف حكم غيره من المالكين وهذا النوع من الأموال

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان . ص ٣٦ .

(٢) نفس المصدر : ص ٢٩ .

هو القسم الذى وقع بعده فيه من النزاع ما وقع إلى اليوم ولولا إشكال أمره عليهم لما طالبت فاطمة بنت رسول الله ﷺ ميراثها من تركته وظنت أنه يورث منه ما كان ملكًا له كسائر المالكين وخفى عليها رضى الله عنها حقيقة الملك الذى ليس مما يورث عنه » [١] .

يروى التاريخ أنه عندما اكتشف حقيقة الأمر على فاطمة رضى الله عنها تراجعت عن موقفها وأبدت رضاها عن موقف أبى بكر رضى الله عنه فى شأن (فدك) .

---

(١) ابن القيم : زاد المعاد : ج ٢ ص ١٦٣ .

الفصل الثانى

العلاقة الوطيدة بين علىّ بن أبى طالب
وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما

مبايعة علىّ بن أبى طالب لعمر بن الخطاب رضى الله عنهما

لما شعر أبو بكر رضى الله عنه بدنو أجله رأى أن يبحث عن من يليه فلم يجد أفضل من وزيره ومعاونه وكبير مستشاريه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقد علم منزلة عمر من رسول الله ﷺ وتذكر قول النبى ﷺ فى عمر : إن الله ضرب الحق على لسان عمر وقلبه واستقر رأى أبى بكر على استخلاف عمر ولكنه لم يشأ أن ينفرد بالقرار وكان عليه أن يستشير كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار فسألهم رأيهم فى عمر فأجاب كل منهم بما يناسب طبيعته وشخصيته فعثمان الرقيق الوديع الصدوق قال : اللهم علمى به أن سريرته خير من علانيته وأنه ليس فينا مثله فقال أبو بكر - يرحمك الله - والله لو تركته ما عدوتك وقال له أسيد بن حضير اللهم أعلمه الخير من بعدك يرضى للرضا ويسخط للسخط الذى يُسِر خير من الذى يعلن ولا يلى هذا الأمر من أحد أقوى عليه منه أما طلحة بن عبيد الله فدخل على أبى بكر وهو مضطجع فى فراش المرض وقال له يا خليفة رسول الله هو والله أفضل من رأيك فيه من رجل ولكن فيه غلظة وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه فكيف إذا خلابهم ماذا أنت قائل لربك ؟ عندئذ اعتدل أبو بكر فى فراشه وقال : أجلسونى فأجلسوه وقال لطلحة أبالله تخوفنى إذا لقيت الله ربى فسألنى قلتُ استخلفت على أهلك خير أهلك ويروى الإمام الطبرى فى « تاريخ الأمم والملوك » : إن أبا بكر بعد أن فرغ من استشارته لمن رأى استشارتهم فى هذا الأمر الجلل دعا عثمان منفردًا فقال له : اكتب - بسم الله الرحمن الرحيم - هذا ما عهد به أبو بكر ابن أبى قحافة إلى المسلمين ، أما بعد ثم أغمى على أبى بكر فكتب عثمان : أما بعد فإنى قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيرًا ثم أفاق أبو بكر فقال لعثمان : اقرأ علىّ فقرأ عليه فقال أبو بكر : الله أكبر . أراك خفت أن يختلف الناس إن اقتتلت نفسى فى غشيتى ؟ قال : نعم ، قال أبو بكر : جزاك الله خيرًا عن الإسلام وأهله وأقرها أبو بكر رضى الله عنه ثم أمر أبو بكر عثمان فخرج إلى الناس ومعه عمر وأسيد بن سعيد فقال عثمان للناس : أتبايعون لمن فى هذا الكتاب ؟ فقالوا : نعم ، وقال علىّ بن أبى

طالب قد علمنا به وهو عمر فأقروا بذلك جميعًا ورضوا به وبايعوا .

وذكر ابن سعد فى « الطبقات » : أن أبا بكر دعا عمر بعد أن تمت له البيعة العامة فأوصاه بما أوصاه به ثم خرج من عنده فرفع أبو بكر يديه مدًّا فقال : اللهم لم أرد بذلك إلّا صلاحهم وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم ، بما أنت أعلم واجتهدت لهم رأى فوليتُ عليهم خيرهم وأقواهم عليه وأحرصهم على ما أرشدهم وقد حضر لى من أمرك ما حضر (يقصد الموت) فأخلفنى فيهم فهم عبادك ونواصيهم بيدك أصلح لهم واليهم - واجعله من خلفائك الراشدين - يتبع هدى نبى الرحمة وهدى الصالحين بعد وأصلح له رعيته .

إن التاريخ لم يذكر وقوع أى خلاف حول خلافته بعد ذلك ولم ينهض أحد طوال عهده لينازعه الأمر بل كان هناك إجماع على خلافته وطاعته أثناء حكمه وإن عليًّا ابن أبى طالب قد أشاد بعمر بن الخطاب وشهد له .

ويورد ابن تيمية العبارة التى جاءت على لسان ابن العباس والتى حاول أن يطمئن بها عمرًا عند بكائه من هول المطلع حين أشرف على الموت قال ابن عباس : « فلا تبك يا أمير المؤمنين فوالله لقد أسلمت فكان إسلامك فتحًا ولقد أُمِّرت فكانت إمارتك فتحًا ولقد ملأت الأرض عدلًا وما من رجلين من المسلمين يكون بينهما ما يكون بين المسلمين فتذكر عندهما إلا رضيا وقنعا به »(١) .

وقد أضاف ابن عباس إلى هذا أن عليًّا بن أبى طالب يشهد بهذه الشهادة عند الله وكان علىّ حاضرًا فأكد حديث ابن عباس ووجه كلامه إلى عمر بن الخطاب بقوله : « نعم يا أمير المؤمنين أنا أشهد لك بهذا عند الله »(٢) .

وجدير بالذكر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه منذ أن وُلِّىَ الخلافة لم يخاطب علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بالكنية بل كان يقول له : « يا أمير المؤمنين نظرًا لولائه الشديد له كما يقول ابن أبى الحديد : « إن عليًّا لم يخاطب عمر منذ وُلِّى الخلافة بالكنية

---

(١) ابن تيمية : منهاج السنة . ج ٣ ص ١٤٢ .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

وإنما كان يخاطبه بإمرة المسلمين وهكذا تنطق كتب الحديث وكتب السير والتواريخ » (١) .

ويتضح ارتياح علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه من حكم عمر بن الخطاب رضى الله عنه من الرسالة التى وجهها إلى عامله على مصر فذكر فيها الأحداث التى وقعت بعد وفاة الرسول ﷺ فيقول موضحًا ارتياحه من خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « فلما احتضر أبو بكر رضى الله عنه أبعث إلى عمر فولاه فسمعنا وأطعنا وناصحنا » (٢) .

وجاء فى موضع آخر من نفس الخطاب : « وتولى عمر الأمر وكان مرضى السيرة ميمون النقيبة » (٣) .

ونقل الطوسى قول علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بخصوص مبايعته وولائه لعمر بن الخطاب رضى الله عنه هذا ما نصه : « فبايعتُ عمر كما بايعتموه فوفيت له بيعته حتى لما قتل جعلنى سادس ستة ودخلتُ حيثُ أدخلنى » (٤) .

إن العبارات التى أسلفتُ ذكرها توضح بكل جلاء أن عليًّا بن أبى طالب رضى الله عنه قد بايع عمر بن الخطاب رضى الله عنه بكل سرور وبدون أى إكراه كما يزعم بعض الجماعة .

---

(١) ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة . ج ٢ ص ٦٣٢ .
(٢) الغارات للثقفى : ج ١ ص ٣٠٧ .
(٣) نفس المصدر ونفس الصفحة .
(٤) الطوسى : الأمالى . ج ٢ ص ١٢١ .

دور علىّ بن أبى طالب فى إدارة حكم عمر بن الخطاب رضى الله عنهما

إن كتب التاريخ والسير تشهد بأن عليًا بن أبى طالب رضى الله عنه كان له دور نشط فى إدارة حكم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومن ثم نلاحظ بأن أمير المؤمنين قد أسند إليه أخطر وأهم منصب من المناصب ألا وهو منصب القضاء كما يقول المؤرخ الطبرى [١] كما كان يستشيره فى معاملات الناس التى كانت تعرض عليه ، يروى المفيد : « أن عمر أتى بحامل قد زنت فأمر برجمها فقال له أمير المؤمنين عليه السلام هب أن لك سبيلًا عليها أى سبيل لك على ما فى بطنها والله تعالىٰ يقول : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ فقال عمر : لا عشتُ لمعضلة لا يكون لها أبو الحسن ثم قال فما أصنع بها ؟ قال احتط عليها حتى تلد فإذا ولدت ووجدت لولدها من يكفله فأقم عليها الحد » [٢] .

وأورد المفيد حكم بن أبى طالب رضى الله عنه فى قضية أخرى فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما نصه : « إن عمر أتى بامرأة قد ولدت لستة أشهر فهمّ برجمها فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك إن الله تعالىٰ يقول : ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ﴾ ويقول جل قائلا : ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾ فإذا أتمت المرأة الرضاعة سنتين كان حمله وفصاله ثلاثون شهرًا كان الحمل منها ستة أشهر فخلى عمر سبيل المرأة وثبت الحكم بذلك فعمل به الصحابة والتابعون ومن أخذ عنه إلى يومنا هذا » [٣] .

وجاء فى نفس الكتاب : « أن امرأة شهد عليها شهود أنهم وجدوها فى بعض مياه العرب مع رجل يطأها ليس ببعل لها فأمر برجمها وكانت ذات بعل فقالت : اللهم إنك

---

(١) تاريخ الطبرى : ج ٢ ص ٣٨٠ .

(٢) المفيد : الإرشاد . ص ١٠٩ .

(٣) نفس المصدر : ص ٣١٢ .

تعلم أنّى بريئة فغضب عمر وقال : وتجرح الشهود أيضاً فقال أمير المؤمنين عليه السلام : ردوها واسألوها فلعل لها عذرًا فردت وسُئلت عن حالها فقالت : كان لأهلى إبل فخرجت فى إبل أهلى وحملت معى ماء ولم يكن فى إبل أهلى لبن وخرج خليلنا وكان فى إبله لبن فنفذ مائى فاستسقيته فأبى أن يسقنى حتى أمكّنه من نفسى فأبيت فلما كادت نفسى تخرج أمكنته من نفسى كَرهًا فقال أمير المؤمنين عليه السلام الله أكبر ﴿ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ ﴾ فلما سمع ذلك عمر خلّى سبيلها » (١) .

وإن هناك قضايا أخرى أوردها المفيد فى كتابه : وأصدر علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه حكمًا فيها بحضور سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه والتى توضح دور علىّ ابن أبى طالب رضى الله عنه فى أمور القضاء فى إدارة عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لم ينفرد برأى فى أمور الدولة على الإطلاق بل كان يستشير كبار أصحاب النبى ﷺ حتى يستقر على رأى كما يقول الشيخ المحدث الشاه ولى الله الدهلوى فى كتابه بعنوان « حجة الله البالغة » : كان من سيرة عمر أنه يتشاور مع الصحابة ويناظرهم حتى تنكشف الغمة ويأتيه الثلبح فصار غالب قضاياه وفتاواه متبعة فى مشارق الأرض ومغاربها » (٢) .

وكما أنه قام بتشكيل المجلس الإستشارى المكون من كبار أصحاب النبى ﷺ والذى كان يحتوى على : عثمان بن عفان ، وعلىّ بن أبى طالب ، وعبد الرحمٰن بن عوف ، ومعاذ بن جبل ، وأُبىّ بن كعب ، وزيد بن ثابت رضوان الله عليهم أجمعين (٣) .

وإن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقوم فى معظم الأحيان بترجيح رأى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه كما يتضح من الأمور التالية :

يروى التاريخ بأنه كان يوجد خلاف فى الرأى بين أصحاب النبى ﷺ بخصوص

---

(١) المفيد : الإرشاد . ص ٣١٢ .

(٢) الشاه ولى الله الدهلوى حجة الله البالغة نقلًا عن كتاب « الفاروق » باللغة الأردية للعلامة الشبلى النعمانى : ج ٢ ص ١٨٩ .

(٣) كنز العمال نقلًا عن كتاب طبقات ابن سعد : ج ٢ ص ١٣٤ .

سواد كوفة فكان من بينهم من يرى تقسيم المال فى الجيش ولكن عليًا لم يوافق عليه فقال موجهًا كلامه إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « إن قسمتها اليوم لم يكن لمن يجىء بعدنا شىء ولكن نقرها فى أيديهم يعملونها فتكون لنا ولمن بعدنا فقال وفقك الله هذا الرأى » (١).

وكما اختلف الناس فى تاريخ الحوادث فأراد بعضهم أن يؤرّخ كما تؤرخ الفرس بملوكهم أو يؤرخوا بتاريخ الروم وقال قائلون : أرّخوا بمولد رسول الله ﷺ . وقال آخرون : من مبعثه عليه السلام ، وأشار علىّ بن أبى طالب أن يؤرخ من هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة فاستحسن عمر والصحابة وأمر أن يؤرخ من هجرة رسول الله ﷺ (٢).

ويروى التاريخ بأن أبا عبيدة أرسل خطاباً إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وطلب فيه قدومه إلى بيت المقدس على أن يتولى كتابة العقد بنفسه بناء على رغبة أهله فإن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد عرض هذا الموضوع على أصحابه للتشاور فيه فأشار عثمان بن عفان بأن لا يركب إليهم ليكون أحقر لهم وأرغم لأنوفهم ولكن عليًّا أشار عليه بالتوجه إلى القدس (٣).

وكما استحسن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه عندما أشار عليه بعدم التوجه إلى موقع « نهاوند » وذلك لمصلحة الإسلام والمسلمين (٤).

وإن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد فوّض عليًّا بن أبى طالب رضى الله عنه أمور الدولة نيابة عنه نظراً لكفاءته وإخلاصه عندما قصد إلى بيت المقدس حيث

---

(١) تاريخ اليعقوبى : ج ٢ ص ١٥١ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية . ج ٧ ص ١٣١ .

(٣) ابن الأثير : الكامل . ج ٣ ص ٣٩٩ .

(٤) تاريخ الطبرى : ج ٢ ص ٥٢٤ .

يقول الطبرى : « لما استمد أهل الشام عمر على فلسطين استخلف عليًّا » [١] .

وكما أناب المرتضى رضى الله عنه عندما أراد غزو العراق بنفسه فى ١٤ هـ إذ جاء فى تاريخ الطبرى : « فنادى عمر : الصلاة جامعة فاجتمع الناس إليه وأرسل إلى علىّ عليه السلام وقد استخلفه على المدينة » [٢] .

(١) نفس المصدر : ج ٢ ص ٤٤٩ .

(٢) نفس المصدر : ج ٢ ص ٣٨١ .

العلاقة الودية بين عمر بن الخطاب وعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنهما

إن العلاقة بين عمر بن الخطاب وعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنهما كانت قائمة على الود والإحترام وكلاهما كانا يتسابقان للخير والمعروف فيما بينهما وأن العلاقة الشخصية كانت بينهما قوية إلى درجة أن عليًا قد بادر بتزويج بنته أم كلثوم التى كانت من فاطمة رضى الله عنها إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وجدير بالذكر أن هناك أم كلثوم أخرى والتى كانت إحدى زوجات عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومن ثم أن المؤرخين قد قاموا بتوضيح هذا الفرق فى كتبهم مثل الطبرى فى تاريخيه وابن حبان فى كتابه : « الثقات » وابن قتيبة فى المعارف وكذلك ابن الأثير فى كتابه : « الكامل » وذكر ابن حبان زواج أم كلثوم من عمر بن الخطاب رضى الله عنه ضمن الأحداث التى وقعت فى سنة ١٧ هـ حيث يقول : « ثم تزوج عمر أم كلثوم بنت علىّ بن أبى طالب وهى من فاطمة ودخل بها فى شهر ذى القعدة » (١) .

وقد ذكر ابن قتبة نفس الكلام فى « المعارف » عندما ذكر أولاد عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « وفاطمة وزيد وأمهما أم كلثوم بنت علىّ بن أبى طالب من فاطمة بنت رسول الله ﷺ » (٢) .

وأورد الإمام البخارى فى صحيحيه رواية فى باب الجهاد توضح بأن أم كلثوم التى كانت تحت عمر بن الخطاب رضى الله عنه هى بنت فاطمة رضى الله عنها حيث جاء : « يا أمير المؤمنين أعط هذا بنت رسول الله ﷺ التى عندك يريدون أم كلثوم » (٣) .

---

(١) ابن حبان : الثقات .

(٢) ابن قتيبة : المعارف .

(٣) صحيح البخارى : باب الجهاد .

ويتضح حب وتقدير علىّ بن أبى طالب لعمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما منعه من الذهاب إلى موقع « نهاوند » حفاظًا على حياته لأن المسلمين كانوا فى أشد الحاجة إليه [١] .

وإذا كان هناك شىء فى قلبه كما يزعم الطاعنون فكيف نصحه وأشار عليه بعدم الذهاب إليه وأكبر دليل على حب علىّ بن أبى طالب لعمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو تسمية أحد أبنائه على اسمه كما يتضح من قول المؤرخ اليعقوبى حيث يقول : « وكان له من الولد الذكور أربعة عشر ذكراً : الحسن ، والحسين ، ومحسن مات صغيرًا أمهم فاطمة بنت رسول الله وعمر أمه أم حبيب بنت ربيعة البكرية » [٢] .

وورد فى نهج البلاغة كلام علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى شأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « بارك الله فى بلاد فلان فلقد قوّم الأود ، وداوى العمد ، وأقام السنة » [٣] وقد صرح بعض شراح نهج البلاغة من الشيعة بأن المراد بفلان فى الخطبة المشار إليها وهو عمر بن الخطاب رضى الله عنه [٤] .

وقد روى البخارى فى صحيحه عن محمد بن الحنفية أنه قال لأبيه علىّ بن أبى طالب : يا أبت ، من خير الناس بعد رسول الله : قال يا بُنىّ أو ما تعرف ؟ قلت : لا ، قال أبو بكر قلت ثم من ؟ قال عمر – وقد روى هذا عن علىّ بن أبى طالب من ثمانين وجهًا وكما أنه كان يقوله على منبر الكوفة بل قال : أوتى بأحد يفضلنى على أبى بكر وعمر إلا جلدته حد المفترى – أى ثمانين سوطًا – ولا يقال هذا من تواضعه لأنه لا يجوز للمتواضع أن يتقدم بعقوبة كل من قال الحق ولا يجوّز تسميته مفتريًا .

خلاصة القول أن عليًا كان يكن حبًا جمًا واحتراماً بالغًا لعمر بن الخطاب رضى الله عنه – وأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه من ناحية أخرى كان يبدى عنايته ورعايته

---

(١) تاريخ الطبرى : ج ٢ ص ٥٢٤ .

(٢) تاريخ اليعقوبى : ج ٢ ص ٢١٣

(٣) نهج البلاغة : ص ٣٥٠ .

(٤) الدرة النجفية : شرح نهج البلاغة . ص ٢٥٧ .

ووده لعليّ ولعائلته نظراً لقرابته من رسول الله ﷺ ومن ثم فأنه كان يقوم بتقديم آل البيت فى العطاء على سائر الناس كما يحكى لنا المؤرخ الطبرى : « ولما أراد عمر وضع الديوان قال له علىّ وعبد الرحمٰن بن عوف : ابدأ بنفسك قال : لا . بل أبدأ بعم رسول الله ﷺ ثم الأقرب فالأقرب ففرض للعباس وبدأ به » (١) .

ويقول المؤرخ اليعقوبى : « ودوّن عمر الدواوين وفرض العطاء سنة ٢٠ هـ وقال قد كثرت الأموال فأُشير عليه أن يجعل ديوانا فدعا عقيل بن أبى طالب ومخزمة بن نوفل وجبير بن مطعم بن نوفل بن عبد مناف وقال : اكتبوا الناس على منازلهم وابدأوا ببنى عبد مناف فكتب أولى الناس علىّ بن أبى طالب فى خمسة آلاف والحسن بن علىّ فى ثلاثة آلاف والحسين بن علىّ فى ثلاثة آلاف » (٢) .

وجاء فى الطبقات لابن سعد أن عمر لما دوّن الديوان فرض العطاء للحسن والحسين بفريضة أبيهما مع أهل بدر لقرابتهما من رسول الله ﷺ ففرض لكل واحد منهما خمسة آلاف درهم (٣) .

وروى ابن سعد عن جعفر الصادق بن محمد الباقر عن أبيه علىّ بن الحسين قدّم على عمر حُلَلٍ من اليمن فكسا الناس فراحوا فى الحلل وهو بين القبر والمنبر جالس والناس يأتونه فيسلمون عليه ويدعون له فخرج الحسن والحسين من بيت أمهما فاطمة رضى الله عنها يتخطيان الناس وليس عليهما من تلك الحلل شىء وعمر قاطب صارّ بين عينيه ثم قال : والله ما هنأ لى ما كسوتكم قالوا : يا أمير المؤمنين كسوتَ رعيتك فأحسنت قال : من أجل الغلامين يتخطيان الناس وليس عليهما من شىء كبرت عنهما وصغرا عنها ثم كتب إلى اليمن أن ابعث بحلتين للحسن وللحسين وعجّل فبعث إليه بحلّتين فكساهما (٤) .

إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يداعب ويمرح مع الحسن والحسين رضى

---

(١) تاريخ الطبرى : ج.٢ ص ٤٥٢ .

(٢) تاريخ اليعقوبى : ج ٢ ص ١٥٢ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى .

(٤) ابن حجر العسقلانى : الإصابة . ج ١ ص ١٠٦ .

الله عنهما وكان لا يأخذ كلامهما مأخذ الجد بل كان يحمله على المداعبة حيث ذكر الإمام الذهبى بأن الحسين بن علىّ عندما كان صغيراً طلب من عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن ينزل عن المنبر الذى كان يخطب عليه مدعيًا أن هذا منبر جده هذا ما نصه : « فقلتُ له إنزل عن منبر أبى واذهب إلى منبر أبيك فقال : إن أبى لم يكن له منبر فأقعدنى معه فلما نزل ذهب بى إلى منزله فقال : أى بنىّ من علّمك هذا ؟ قلتُ ما علّمنيه أحد » (١) .

إن كلام الحسين الموضح ليس بخال عن الجد ولكن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بدلاً أن يبدى استياءه نحوه قد أكرمه وأخذه إلى بيته وذلك من منطلق الحب والعطف الذى كان يكنه لعلىّ ولعائلته .

وإن عليًّا بن أبى طالب رضى الله عنه كان متأثراً تأثراً بالغًا بموت عمر بن الخطاب رضى الله عنه والذى يتضح من كلامه الذى قد قاله موجهًا إلى جنازته : « ما من الناس أحد أحب إلىّ أن ألقى الله بما فى صحيفة من هذا المسجّى » .

من الروايات التى أسلفت ذكرها هل يمكن أن يدعى أحد بتوتر العلاقة بين الصحابيين الجليلين ؟ وهل أن كلا منهما كان يحاول النيل من الآخر ؟ وهل كان يوجد بينهما الحقد والضغينة ؟ .

---

(١) الإمام الذهبى : تاريخ الإسلام . ج ٣ ص ٩ والإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى : ج ١ ص ٣٣٢ .

الفصل الثالث

القول الفصل فى بيان حقيقة العلاقة بين علىّ بن أبى طالب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما

مبايعة علىّ بن أبى طالب لعثمان رضى الله عنهما

عندما طعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لم يكن فى نيته أن يولّى خلفًا له حيث دخل عليه الناس يطلبون منه تعيين خلفًا له فردّ عليهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه قائلا : « فإن استخلفت فقد أستخلف من هو خير منى وأن أترك فقد أترك من هو خير منى »[(١)] .

يبدو من هذا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان مترددًا فى تعيين خلفًا له ومن ثم فقد كوّن اللجنة السداسية من كبار أصحاب النبى ﷺ على أن يختاروا من بينهم الخليفة بعد استشارة المسلمين وهؤلاء الستة هم :

عثمان ، وعلىّ بن أبى طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وسعد ابن أبى وقاص ، وعبد الرحمٰن بن عوف ، وضم إليهم ابنه عبد الله ليكون له رأى فى الإختيار على ألا يختار للخلافة وحدد ثلاثة أيام تنتهى المشاورة خلالها .

يروى الطبرى أن عبد الرحمٰن بن عوف حين اجتمع بإخوانه المبشرين بالجنة : علىّ بن أبى طالب ، وعثمان بن عفان ، وسعد بن أبى وقاص ، والزبير بن العوام ، وطلحة ابن عبيد الله . للتشاور فيمن يتولى أمور المسلمين قد لاحظ التنافس فيما بينهم فاقترح عليهم إقتراحًا يمنع التنافس فقال لهم : « أيكم يخرج نفسه منها ويتقلدها على أن يولّيها أفضلكم ؟ فلم يُجبه أحد فقال : أنا أخلع منها نفسى فرضى القوم بذلك وعلىّ ساكت فقال له عبد الرحمٰن : ما تقول يا أبا الحسن ؟ فقال : أعطنى موثقًا لتؤثرن الحق ولا تتبع الهوى ولا تخص ذا رحم لرحمه ولا تألو الأمة فقال عبد الرحمٰن : أعطونى مواثيقكم على أن تكونوا معى على من بدّل وغيّر وأن ترضوا من اخترت لكم على ميثاق الله ألا أخص ذا رحم ولا آلو المسلمين فأخذ منهم ميثاقًا وأعطاهم مثله ومن هنا أخذ عبد الرحمٰن

---

(١) تاريخ الطبرى : ج ٢ ص ٥٨٠ .

يستشير الصحابة وأمراء الأجناد وأشراف الناس فيمن يصلح أن يختار خليفة من بين هؤلاء فكان بعضهم يشير بعلىّ وبعض آخر يشير بعثمان وكذلك استشار أصحابه المرشحين فقال لعلىّ لو لم يكن هذا الأمر فمن ترضى ؟ فقال عثمان : وكذلك فعل مع الزبير وسعد فقالا : عثمان ، ثم سأل عثمان فأشار بعلىّ » .

ومن هنا نجد أن إستحقاق الخلافة إنحصر فى عثمان وعلىّ إذ كانا محطّ أنظار الصحابة وأشراف المسلمين ثم قام عبد الرحمن بن عوف وقال : إنى نظرتُ وشاورت فلا تجعلنى أيها الرهط على أنفسكم سبيلا فقال لعلىّ عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده فقال : أرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمى وطاقتى .

ثم دعا عثمان وأعاد ما قال لعلىّ فقال : نعم ، فبايعه عبد الرحمٰن ، بذلك نال عثمان الخلافة [١] .

وأورد الطبرى رواية أخرى فى تاريخة بأن عليًّا قد تلكأ فى مبايعة عثمان فقال له عبد الرحمٰن : ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [سورة الفتح : ١٠] .

ويرى الدكتور طه حسين معلّقًا على الرواية التى ذكرها الطبرى فيقول : « إن عليًّا لم يتردد ولم يحتج إلى من يذكره بالعهد الذى أعطاه على نفسه فعلىّ أوفى بالعهد وأكرم على نفسه من أن يحتاج إلى مثل التنبيه وسيرته كلها تنبئنا بذلك [٢] » .

الواقع أن الرواية التى تدور بخصوص تردد علىّ بن أبى طالب تجاه مبايعة عثمان ابن عفان رضى الله عنه بعيدة عن الصحة تمامًا إذ أن عليًّا كان صاحب القول لعبد الرحمٰن بن عوف : « بايع أخاك فقد أعطى الرضا من نفسه واستخر بالله وأصفق على يده » [٣] .

---

(١) تاريخ الطبرى : ج ٢ ص ٥٨٣ .

(٢) دكتور /طه حسين : الفتنة الكبرى . ج ١ ص ٦٤ .

(٣) الباقلانى : التمهيد . ص ٢٠٨ .

واذا كان عليّ بن أبي طالب قد تردّد أو تلكّأ حسب ما يروى الطبرى بخصوص مبايعة عثمان كان خليقًا له أن يلزم داره وأن يقاطع عثمان وأهل الشورى وقتًا يقصر أو يطول ولكنه لم يلزم داره بل شهد مجلس عثمان فى أمر بيعته وأشار عليه فى قصة عبيد الله ابن عمر بأن يقتص منه لمقتل الهرمزان .

إن مبايعة عليّ لعثمان كانت أمرًا طبيعيًا لأنه كان يدرك منزلة عثمان فى الإسلام فقد كان عثمان من السابقين إلى الإسلام وكان أحد العشرة الرابعة من الرجال الذين سبقوا إليه وكان إسلامه قبل أن يستقر النبى ﷺ بدعوته فى دار الأرقم ثم أصهر عثمان إلى النبى ﷺ فتزوج ابنته رقية وعندما ماتت جزع عثمان لموتها جزعًا شديدًا لانقطاع صهره بالنبى ولكن النبى ﷺ زوجه أختها أم كلثوم فلم تلبث عنده إلا قليلًا حتى ماتت وقال النبى ﷺ فيما يروى أصحاب السير : لو كانت عندنا أخرى لزوجناها عثمان إن عثمان كان كريمًا سخى النفس واليد بماله فى سبيل الله إنه إشترى بئر رومة من ماله بالوف كثيرة وجعلها للمسلمين ووعده النبى ﷺ بخير منها فى الجنة وكما إشترى أرضًا وسع بها النبى ﷺ المسجد حين ضاق بالناس ووعده النبى ﷺ خيراً منها فى الجنة فلما كانت غزوة تبوك وإشتد العسر قام بتجهيز الجيش فقيل : إنه حمل المسلمين على ما احتاجوا أن يحملوا عليه من الإبل والخيل وقيل : إنه أقبل بألف دينار فوضعها فى حجر النبى ﷺ وإنه استعان بها على تجهيز الجيش ودعا لعثمان أن يغفر له الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر ووعده بالجنة .

إن الروايات الموجودة فى بطون أمهات الكتب تؤكد بأنَّ عثمان كان مقرَّبًا ومحبَّبًا إلى النبى ﷺ حيث أنه قد بشّره بالجنة غير مرة وأنبأه برضا الله عنه غير مرة أيضًا وقد تحدث عبد الله بن عمر رضى الله عنه بأن المسلمين كانوا فى أيام النبى ﷺ يقدمون أبا بكر وعمر وعثمان ثم لا يفاضلون بين أصحاب النبى ﷺ .

وفى الصحيحين عن عبد الله بن عمر قال : كنا نفاضل على عهد رسول الله ﷺ : كنا نقول أبو بكر ثم عثمان -- وفى بعض الطرق - يبلغ ذلك النبى ﷺ فلا ينكره (١) .

---

(١) فتاوى ابن تيمية : ج ٤ ص ٢٥ .

إن منزلة عثمان ومكانته كانت معروفة لدى علىّ بن أبى طالب وغيره من أصحاب النبى ﷺ ومن ثم فقد سارعوا إلى مبايعته فوراً بدون تأخير وعلى حسب رواية الطبرى فقد ازدحم الناس عند عثمان لمبايعته حتى أُغمى عليه (١).

إن هذا هو الذى دفع الإمام أحمد بن حنبل أن يقول : « لم يجتمعوا على بيعة أحد كما اجتمعوا على بيعة عثمان » (٢).

توجد لدينا مجموعة من الروايات التى تؤكد بأن عليًّا قد بايع عثمان برحابة صدر خلافاً لما يروى الطبرى بأن عليًّا كان مترددًا بشأن مبايعة عثمان .

وقد جاء فى طبقات ابن سعد : « فأول من بايع عثمان عبد الرحمٰن ثم علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهما (٣) » .

وذكر الطوسى قول علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى هذا الشأن : « لما قتل يعنى « الفاروق » جعلنى سادس ستة فدخلتُ حيث أدخلنى وكرهتُ أن أفرق جماعة المسلمين وأشق عصاهم فبايعتم عثمان فبايعته » (٤).

وجاء فى شرح نهج البلاغة لابن الحديد بشأن مبايعة علىّ لعثمان ما نصه : « ثم مدّ يده فبايع » (٥).

خلاصه القول أن عليًّا قد بايع عثمان برضى نفس ورحابة صدر ولو كان علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه يعتقد بأن مبايعة عثمان باطلة أو غير صحيحة إذن فلماذا بايعه ؟ .

هل يعقل أن الشخص الذى كان فريدًا فى بسالته وشجاعته أن ينسب إليه بأنه بايع عثمان كرهاً أو تحت مبدأ التقية ؟ .

---

(١) تاريخ الطبرى : ج ٢ ص ٥٨٦ .

(٢) ابن تيمية : منهاج السنة . ج ٣ ص ١٦٦ .

(٣) طبقات ابن سعد : ج ٣ ص ٤٣ .

(٤) الطوسى : الأمالى . ج ٢ ص ١٢١ .

(٥) نهج البلاغة : تحقيق صبحى صالح . ص ١٠٢ .

أليس معروفاً عنه بأنه كان لا يخاف فى أمور الحق لومة لائم .

الواقع أن عليًّا كان يدرك جيداً أهمية منصب الخلافة وخطورته فى الإسلام ومن ثم فإنه من المستحيل موافقته على إسناد هذا المنصب الخطير إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه إلا برضى نفس ومعتقداً لأحقيته له .

دور علىّ بن أبى طالب فى إدارة حكم عثمان بن عفان رضى الله عنهما

إن عليًّا بن أبى طالب رضى الله عنه قد سلك نفس المنهج الذى سلكه فى أيام الشيخين رضى الله عنهما فى خلافة عثمان رضى الله عنه من تقديم النصح والمشورة للخليفة إنطلاقاً من مبدأ التعاون لصالح الإسلام والمسلمين .

إن عليًّا كان مخلصاً ووفيًّا وناصحاً لعثمان وقد عارضه أيضاً فى بعض مواقفه ولكن معارضتة لم تخرج عن طور المعارضة الرشيدة التى تلين وتعنف ولكنها تلزم حدود النصح والمشورة .

يروى التاريخ بأن عثمان قد كلف عليًّا أن يخرج إلى الثوار ليردّهم إلى بلادهم قبل أن يدخلوا المدينة ويقال بل ندب الناس إليهم فانتدب علىّ لذلك فبعثه وخرج معه جماعة الأشراف وإنطلق علىّ بن أبى طالب إليهم وهم بالجحفة وكانوا يعظمونه ويبالغون فى أمره فردّهم وأنّبهم وشتمهم فرجعوا إلى أنفسهم بالملامة وقالوا : هذا الذى تحاربون الأمير بسببه وتحتجون عليه به وسألهم علىّ ماذا ينقمون عليه ؟ فذكروا أشياء فأجاب علىّ عن ذلك وعلّل لعثمان [1] .

وأفرد المفيد فى كتابه : « الإرشاد » فصلًا خاصاً بعنوان : « قضايا فى زمن إمارة عثمان » وسرد فيه عدة قضايا حكم بها علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ونفذها عثمان بن عفان رضى الله عنه منها : « إن امرأة نكحها شيخ كبير فحملت فزعم الشيخ أنه لم يصل إليها وأنكر حملها فالتبس الأمر على عثمان وسأل المرأة هل افتضك ؟ وكانت بكراً فقالت : لا فقال عثمان : أقيموا عليها الحد فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : إن للمرأة سمين : سم للمحيض ، وسم للبول ، فلعل الشيخ كان ينال منها فسال ماؤه فى سم المحيض فحملت منه فاسأل الرجل عن ذلك ؟ فسُئل فقال : كنتُ أنزل الماء فى قبلها

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٧ ص ١٧٠ وتاريخ الطبرى : ج ٢ ص ٦٥٧ .

من غير وصول إليها بالافتضاض فقال أمير المؤمنين عليه السلام : الحمل له والولد له وأرى عقوبته على الإنكار فصار عثمان إلى قضائه بذلك وتعجب منه » [١] .

وروى الكلينى فى صحيحه عن أبى جعفر محمد الباقر أنه قال : إن الوليد بن عقبة حين شهد عليه بشرب الخمر قال عثمان لعلىّ عليه السلام : « اقض بينه وبين هؤلاء الذين زعموا أنه شرب الخمر فأمر عليه السلام فجلد بسوط له شعبتان أربعين جلدة » [٢] .

وقد ذكر اليعقوبى أن الوليد لما قدم على عثمان قال من يضربه ؟ فأحجم الناس لقرابته وكان أخا عثمان لأمه فقام علىّ فضربه [٣] .

إن هناك قضايا كثيرة مسجلة فى كتب التاريخ قد حكم فيها علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه أثناء حكم عثمان رضى الله عنه .

يروى التاريخ بأن عثمان بن عفان رضى الله عنه قد عين عبد الله بن عباس رضى الله عنه أميراً للحج فى سنة ٣٥ هـ وكما أن الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب كانوا ضمن جنود الفتح الذين وجههم عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى برقة وطرابلس وأفريقية [٤] .

وقد ورد فى تاريخ الطبرى بأن الحسن والحسين وعبد الله بن عباس قد اشتركوا تحت راية سعيد بن العاص الأموى فى غزوات خراسان وطبرستان وجرجان [٥] .

إن الروايات التى أسلفت ذكرها توضح بأن عليًّا بن أبى طالب وأفراد عائلته كانوا سنداً وعوناً وناصحاً لعثمان بن عفان رضى الله عنه فى أيام حكمه .

---

(١) المفيد : الإرشاد . ص ١١٢ .

(٢) الكلينى الكافى فى الفروع : ج ٧ ص ٢١٥ .

(٣) تاريخ اليعقوبى : ج ٢ ص ١٦٥ .

(٤) تاريخ ابن خلدون : ج ٢ ص ١٠٣ .

(٥) تاريخ الطبرى .

العلاقة الودية بين علىّ بن أبى طالب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما

إن العلاقة بين علىّ بن أبى طالب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما كانت قائمة على الحب والإخلاص بعيدة عن الحزبية والتنافس على السلطة .

إن عليًّا كان يعدّ من أزهد (١) أصحاب النبى ﷺ وعاش فى خلافة الشيخين رضى الله عنهما حياة الفقيه العابد وكان يجمع القرآن وكان هذا هو العهد الذى قطعه على نفسه حين قبض الرسول ﷺ (٢) .

إن الشيخين رضى الله عنهما كانا يلجآن إليه فى الفتاوى والأقضية الهامة التى تلم بالمسلمين وعندما تولى عثمان بن عفان رضى الله عنه الخلافة ورأى على الصاحب الثالث عثمان الذى أحبه الرسول ﷺ أشد الحب وأحبه هو أشد الحب بأن بعض أصحاب النبى ﷺ قد اتخذوا منه موقف المعارضة برفع أصواتهم فى كل مكان بالشكوى المريرة منه ولكن العابد المتبتل لم يعارض ولم يختلف اللهم مرة واحدة حين رأى الخليفة ينفى أبا ذر الغفارى رضى الله عنه .

كانت حياة علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه حياة عبادة وزهد ومن ثم فإن الإدعاء بتنافسه فى أمر الخلافة مع عثمان رضى الله عنه بعيد عن سيرته العطرة .

وإن ترجمة حياة الصحابيين الجليلين كانت تعبيراً صادقاً للود والحب الطاهر الذى كان يوجد بينهما وينعكس على حياتهما اليومية بكل جلاء .

يروى التاريخ بأن عثمان قد ساعد عليًّا فى زواجه من فاطمة بنت رسول ﷺ وذلك من منطلق المودة التى كانت توجد بينهما حيث يقول علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : « إنى لما تقدمتُ إلى رسول الله ﷺ طالباً منه زواج فاطمة قال لى : بعْ درعك

---

(١) أبو طالب المكى : قوت القلوب . ج ٢ ص ١٩٥ .

(٢) أبو نعيم : حلية . ج ١ ص ٦٧ .

وآتنى بثمنها حتى أهيئ لك ولابنتى فاطمة ما يصلحكما ، قال علىّ : فأخذتُ درعى فانطلقتُ به إلى السوق فبعته بأربعمائة درهم سود هجرية من عثمان بن عفان فلما قبضتُ الدراهم وقبض الدرع منى قال يا أبا الحسن – ألست أولى بالدرع منك وأنت أولى بالدراهم منى ؟ فقلتُ : نعم ، قال : فإن هذا الدرع هدية منى إليك فأخذت الدرع والدراهم وأقبلتُ إلى رسول الله فطرحتُ الدرع والدراهم بين يديه وأخبرته بما كان من أمر عثمان فدعا له النبى بخير » (١)

وكذلك أن عثمان بن عفان رضى الله عنه قد شهد على زواج علىّ بن أبى طالب من فاطمة بنت رسول الله ﷺ كما جاء فى الرواية التى وردت نقلاً عن أنس حيث أنه قال : إن النبى عليه الصلاة والسلام قال : « انطلق فادع لى أبا بكر وعمر وعثمان وبعددهم من الأنصار . قال : فانطلقت فدعوتهم له فلما أن أخذوا مجالسهم قال : إنى أُشهدكم أنى قد زوّجتُ فاطمة من علىّ بأربعمائة مثقال من فضة » (٢) .

ونظراً للحب المتبادل الذى كان يوجد بين عثمان بن عفان وعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنهما : فان عليًّا قد سمّى أحد أبنائه على اسم عثمان رضى الله عنه كما يذكر المفيد ما نصه فأولاد أمير المؤمنين سبعة وعشرون ولداً ذكراً وأنثى : (١) الحسن ، (٢) الحسين (١٠) عثمان أمه أم البنين بنت حزام بن خالد بن وارم » (٣) .

ويتضح إخلاص علىّ بن أبى طالب لعثمان وذلك عند رفضه منصب الخلافة المعروض عليه من قِبَل الثوار من المصريين ثم طردهم من بيته (٤) .

وكذلك عندما منع الثوار على الخليفة الماء فاحتال علىّ حتى أدخل عليه شيئاً من ماء وأقبل على الثائرين فزجرهم وقال : إن الذى تصنعون ليس صنيع المؤمنين ولا صنيع الكافرين وإن الفرس والروم ليأسرون فيطعمون ويسقون (٥) .

---

(١) المناقب للخوارزمى : ص ٢٥٢ .

(٢) أربلى : كشف الغمة . ج ١ ص ٣٥٨ ؛

(٣) المفيد : الإرشاد . ص ١٨٦ .

(٤) تاريخ الطبرى : ج ٢ ص ٦٥٣ .

(٥) نفس المصدر : ص ٦٧٢ .

إن الحسن والحسين كانا من بين الشباب من أبناء المهاجرين الذين قد قاموا بحماية الخليفة من الثائرين [١] .

ويذكر لنا التاريخ أن عليًّا بن أبى طالب رضى الله عنه دخل فى بيته بعد استشهاد عثمان بن عفان رضى الله عنه فرأى الحزن والأسى قد ساد فى داره فاستفسر عنه : « قلن بكى على عثمان فبكى وقال : ابكين » [٢] .

وإن الحسن بن علىّ قد تأثر جدًّا باستشهاد عثمان بن عفان رضى الله عنه وكان يعتقد بأن الإجراءات التى إتخذت بشأن حماية الخليفة من الثوار كانت غير كافية ومن ثم أنه قال ردًّا على أبيه عند مطالبته بإسباغ الوضوء منه فقال : « لقد قتلتم بالأمس رجلاً كان يسبغ الوضوء فلم يزد على على أن قال : لقد أطال الله حزنك على عثمان » [٣] .

إن نسبة الرواية المشار إليها إلى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه يخالف الواقع لأن عليًّا لا ناقة له ولا جمل فى استشهاد عثمان بن عفان رضى الله عنه بل إنه كان حامياً له ومحافظًا عليه من الثوار وكما أن له مواقف جليلة مسجلة فى التاريخ ومن ثم فأن كلام الحسن الموضح نحمله على المرارة والحزن الذى كان يشعر به الحسن عند استشهاد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه وذلك بافتراضنا صحة الرواية المشار إليها .

وأكبر دليل على حب علىّ وإخلاصه لعثمان ما قاله فى حقه كما يروى لنا المؤرخ الطبرى : « والله ما أدرى ما أقول لك ما أعرف شيئاً تجهله ولا أدلك على أمر لا تعرفه إنك تعلم ما نعلم ما سبقناك إلى شىء فنخبرك عنه ولا خلونا بشىء فنبلغكه وما خُصِصنا بأمر دونك وقد رأيت وسمعتَ وصحبتَ رسول الله ﷺ ونلتَ صهره وما ابن قحافة بأولى بعمل الحق منك ولا ابن الخطاب بأولى بشىء من الخير منك وإنك

---

(١) نفس المصدر : ص ٦٧٤ .

(٢) البلازرى : أنساب الأشراف .

(٣) دكتور / طه حسين : الفتنة الكبرى . ج ٢ ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

أقرب إلى رسول الله ﷺ رحمًا ولقد نلتَ من صهر رسول الله ﷺ ما لم ينالا ولا سبقاك إلى شىء [١] .

إن هذا الوصف يوضح الإجلال والتقدير الذى كان يكنه علىّ لعثمان بن عفان رضى الله عنهما .

---

(١) تاريخ الطبرى : ج ٢ ص ٦٤٤ ، ٦٤٥ .

الفصل الرابع

كشف دور السبئين فى خلافة علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه

نظرة على ولاية علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه

اتجهت أنظار الناس بعد استشهاد عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى ثلاثة أشخاص كانوا على قيد الحياة من اللجنة السداسية التى شكلها عمر بن الخطاب رضى الله عنه لتولى أحدهم الخلافة وهم : علىّ ، وطلحة ، والزبير رضوان الله عليهم أجمعين ، فرغب أهل مصر فى علىّ ورغب أهل الكوفة فى الزبير بينما كان هوى أهل البصرة مع طلحة [١] .

وكان كل فريق يختلف إلى صاحبه يعرض عليه فيمتنعون ويأبون ولكن معظم الثوار كانوا يميلون إلى تولية علىّ بن أبى طالب الخلافة وعلى رأسهم « مالك الأشتر » حيث أنه أول شخص بايع عليًّا [٢] .

وتبعه أناس آخرون ، وجدير بالذكر أن أفراد عائلة علىّ بن أبى طالب قد نصحوه أن يبتعد عن توليه الحكم خوفاً أن يتورط فى قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه حيث قال ابن عباس ناصحاً له : « فإنك والله لئن نهضت مع هؤلاء القوم ليحملنك الناس دم عثمان غداً » [٣] .

وكما أن ابنه الحسن قد أشار عليه فى وقت الفتنة أن يعتزل الناس وأن يترك المدينة فيقيم فى ماله بينبع فلما قتل عثمان لم ير الحسن لأبيه أن يقيم فى المدينة ولا أن يتعرض للبيعة ولا أن يقبلها وإن عرضت عليه [٤] .

وفى نفس الوقت فإن معظم كبار أصحاب النبى ﷺ قد ابتعدوا عن مبايعته

---

(١) تاريخ الطبرى : ج ٢ ص ٦٥٣ .

(٢) نفس المصدر : ج ٢ ص ٧٠٠ .

(٣) تاريخ الطبرى : ج ٥ ص ١٦٠ .

(٤) دكتور /طه حسين : الفتنة الكبرى . ج ٢ ص ١٧٦ .

رغم أنهم كانوا مدركين منزلة عليّ ومكانته فى الإسلام وكما أن تفضيله على باقى أصحاب النبى ﷺ فى ذلك الوقت كان معروفاً على الناس ويتضح ذلك من الخطاب الذى أرسله سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه إلى معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه متحدثاً فيه عن ميزات عليّ بن أبى طالب على سائر القادة حينذاك « غير أن عليًّا قد كان فيه ما فى فينا ولم يكن فينا ما فيه » (١) .

ولكن بالرغم من هذا الإجلال والتبجيل الذى كان يكنه أصحاب النبى ﷺ لعليّ بن أبى طالب رضى الله عنه إلا أنهم كانوا يدركون جيداً فى نفس الوقت خطورة المؤامرة التى نسجتها الفرقة السبئية وليدة اليهود حيث أنهم كانوا على علم بأن عليًّا بن أبى طالب رضى الله عنه لن يتمتع بالسلطة الفعلية قط وأن مقاليد السلطة قد تُسحب منه بعد توليتها وكما أن تحقيق المطالبة بدم عثمان رضى الله عنه سيكون أمراً عسيراً ومن ثم نلاحظ أن عليًّا لم يلحّ على أصحاب النبى ﷺ لمبايعته ولم يأذن للثائرين فى الإكراه عليهم بشأنها .

إن عليًّا بن أبى طالب رضى الله عنه كان يعرف حقيقة الوضع وخطورته مسبقاً ولذلك رفض الحكم فى بداية الأمر عندما عرض عليه حيث يقول : « دعونى والتمسوا غيرى ، فقالوا : أننشدك الله ألا ترى الفتنة ؟ ألا تخاف الله ؟ فقال : إن أجبتكم ركبت به ما أعلم وإن تركتمونى فإنما أنا كأحدكم إلا أنى أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم » (٢) .

ولكن عليًّا قد قبل تولى الحكم نظراً للمصلحة ومرغماً أمام تهديدات الثوار كما يروى الطبرى : « فقالوا لهم : دونكم يا أهل المدينة فقد أجلناكم يومين فوالله لئن لم تفرغوا لنقتلن غداً عليًّا وطلحة والزبير وأناساً كثيرين » (٣) .

إن هذا التهديد السافر قد دفع عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه أن يقبل عرضهم لتولية الحكم كَرهاً .

---

(١) تاريخ اليعقوبى : ج ٢ ص ١٣٢ .

(٢) راجع تعليقات السيد /محب الدين الخطيب على كتاب : « العواصم من القواصم . ص ١٤٢ ، ١٤٣ هامش رقم : ١ .

(٣) تاريخ الطبرى : ج ٥ ص ١٥٦ .

وجدير بالإشارة هنا أن نفراً من أصحاب النبى ﷺ الذين قد بايعوا عليًّا كانوا غير مرتاحين لمبايعتهم له بل كان يوجد لديهم ترددُ وقلق بشأن مصير الخلافة الإسلامية حيث يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « فإنه بويع عقيب قتل عثمان رضى الله عنه والقلوب مضطربة مختلفة وأكابر الصحابة متفرقون وأُحضر طلحة إحضارا حتى قال من قال : إنهم جاءوا به مُكرهاً وإنه قال : بايعتُ واللج – أى السيف – على قفى » (١) .

والواقع أن الوضع قد تعقد بعد أن تولى علىّ بن أبى طالب الخلافة والأحرى بعد تدخل الفرقة السبئية فى إداراته .

إن عليًّا كان غير راض عن الوضع السائد فى عصره وكان يوجد لديه قلق شديد من مخالفة أعوانه له وعدم استجابتهم لنصائحه إلى أن مات فكان يبتهل إلى الله فى دعائه قبل موته قائلا : « اللهم أبدل بهم من هو خير لى وأبدلهم بى من هو شر لهم منى » (٢) .

وفى رواية أخرى : « اللهم قد سئمتهم وسئمونى فأبدلنى بهم خيراً منهم وأبدلهم بى شرًّا منى » (٣) .

إن التدخل السافر من قِبَل الفرقة السبئية فى أمور الدولة قد أدّى إلى ظهور نتائج سلبية فى حق الخلافة الإسلامية حيث أن الفتوحات الإسلامية قد توقفت تماماً .

وإن السيف الذى كان يسلّ لأعداء الإسلام قد استخدم ضد المسلمين فيما بينهم حتى أن أعداء الإسلام من اليهود والنصارى والمجوس قد طمعوا فى بلاد الإسلام لتحقيق أهدافهم المدمرة نظراً للحروب الأهلية والخلافات الداخلية التى كانت توجد بين المسلمين آنذاك .

إن شيخ الإسلام ابن تيمية قد ألقى ضوءاً على المأساة التى تعرضت لها الدولة الإسلامية

---

(١) ابن تيمية : منهاج السنة . ج ١ ص ٥٣٥ تحقيق الدكتور /محمد رشاد سالم .

(٢) أبو الفرج الأصفهانى : مقاتل الطالبين . ص ٤٠ .

(٣) ابن تيمية : منهاج السنة . ج ٢ ص ٩٠ ، ٩١ .

فى عصر علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بسبب المؤامرات التى حاكتها الفئة الضالة ... وليدة اليهود ضد المسلمين .

فيقول : « فلم يظهر فى خلافته دين الإسلام بل وقعت الفتنة بين أهله وطمع فيهم عدوهم من الكفار والنصارى والمجوس بالشام والمشرق » [(١)] .

وجاء فى موضع آخر من نفس الكتاب : « ومن المعلوم أن الخلفاء الثلاثة اتفقت عليهم المسلمون وكان السيف فى زمانهم مسلولاً على الكفار مكفوفاً عن أهل الإسلام وأما علىّ فلم يتفق المسلمون على مبايعته بل وقعت الفتنة تلك المدة وكان السيف فى تلك المدة مكفوفاً عن الكفار ومسلولاً على أهل الإسلام » [(٢)] .

إن الفتن والخلافات الداخلية التى تعرضت لها الدولة الإسلامية فى ذلك الوقت قد دفعت بعض الباحثين وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية إلى القول بأن خلافة علىّ بن إبى طالب قد عدلت عن منهاج النبوة كما يتضح من قوله : « لأنه لم يجتمع الناس فى زمانه بل كانوا مختلفين لم ينتظم فيه خلافة النبوة ولا الملك » [(٣)] .

وإن الشيخ المحدث ولى الله الدهلوى قد اتخذ نفس هذا الإتجاه فى كتابه بعنوان : « إزالة الخفاء » حيث يقول : « إن عليًّا كانت توجد لديه مزايا كثيرة التى تؤهله لقيام حكومته على منهاج النبوة ولكنه لم يستطع أن يقوم بتنفيذ ما أراد به حتى رقعة الدولة قد ضاقت ولم تكن تحتُ سيطرته سوى الكوفة » [(٤)] .

الواقع أن السبئيين كان لهم دور ملحوظ فى إشعال الفتن والحرب الأهلية بين المسلمين مما ترك آثاراً سلبية على خلافة علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه كما سيتضح من الصفحات القادمة .

---

(١) نفس المصدر : ج ٤ ص ١١٧ ، ١١٨ .

(٢) نفس المصدر : ج ٤ ص ١٦١ .

(٣) نفس المصدر : ج ١ ص ٥١٤ .

(٤) الشاه ولى الله الدهلوى : إزالة الخفاء . ج ٢ ص ٢٤٥ .

بين أم المؤمنين عائشة وعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنهما

قد تحدثتُ فى كتابى بعنوان « الشيعة فى الميزان » : « بأن أعداء الإسلام كانوا يتوقعون أن ينتهى الإسلام بعد وفاة النبى ﷺ ولكن الإنجازات والأعمال الجليلة التى تمت فى عصر الشيخين رضى الله عنهما كانت مصدر فخر وإعتزاز للإسلام وأهله وفى نفس الوقت كانت موضع القلق والحقد لأعدائه الذين أخرجوا من المدينة المنورة فى عصر النبى ﷺ ومن مدينة خيبر فى عصر عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومن ثم خسر أعداء الإسلام فى مخططاتهم لأن الوضع كان فى غير صالحهم واستحال تنفيذ ما فى مخيلتهم ولذلك قاموا بتأجيل مخططاتهم لوقت آخر ولكن المخربين قد وجدوا فرصة سانحة فى منتصف خلافة عثمان رضى الله عنه » (١) .

والتى أدت أولاً إلى استشهاد الخليفة ثم تولية علىّ بن أبى طالب الولاية كرهاً حيث أنه غير راغب فيها على الإطلاق ثم مغادرته المدينة المنورة رغم إلحاح ابنه الحسن وبعض أصحاب النبى ﷺ أن يعدل عن إرادته ولكن السبئيّين كانوا يرون بأن بقائه بالمدينة ليس فى مصلحتهم ومن ثم قاموا بإبداء سخطهم وإنكارهم على هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين الذين أشاروا على علىّ بعدم مغادرة المدينة .

كما يروى الطبرى أن الصحابى عبد الله بن سلام قد نصح عليًّا قائلاً له لا تخرج منها فوالله لئن خرجت منها لا ترجع إليها ولا يعود إليها سلطان المسلمين أبداً فسبوه فقال : دعوا الرجل فنعم الرجل من أصحاب محمد ﷺ وسارحتى انتهى إلى الربذة » (٢) .

ويقول الطبرى موضحاً موقف الحسن عن مغادرة أبيه من المدينة المنورة فيقول : ثم لم يكن الحسن يرى لأبيه أن يترك مهاجره فى المدينة وأن يرحل إلى العراق للقاء طلحة

---

(١) دكتور /محمد يوسف النجرامى : « الشيعة فى الميزان » : ص ٢٩ - ٣٣

(٢) تاريخ الطبرى : ج ٥ ص ١٧٠ .

والزبير وعائشة وإنما كان يؤثر له أن يبقى مهاجره مجاوراً للنبى ويكره له أن يذهب إلى دار غربة ويتعرض للموت بمضيعة وكان أبوه يعصيه فى كل ما كان يشير عليه من ذلك حتى بكى الحسن ذات يوم حين رأى ركاب أبيه تؤم العراق فقال له أبوه : إنك تحنى حنين الجارية [(١)] .

ومن ناحية أخرى نلاحظ أن أعداء الإسلام قد استغلوا خروج علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه من المدينة استغلالاً سيئاً حيث قاموا بوضع الروايات بهذا الشأن والتى لا تليق بإجلال أصحاب النبى ﷺ ومنزلتهم على الإطلاق – وكما أبرزوا الخلافات بين أصحاب النبى ﷺ وبالتحديد بين أم المؤمنين عائشة وعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنهما يشكل جلى لا يقبله لا العقل ولا الفكر .

فى واقع الأمر أن هذا لم يكن سوى جزء من مخططات السبئيَين الذين لا هدف لهم إلا محاولة القضاء على الإسلام أو على الأقل تشويه سمعته والحط من منزلته وهناك رواية ضمن الروايات الموضوعة التى وضعها الوضاعون ونسبوها إلى أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ونقلها المؤرخ ابن الأثير فى تاريخه دون التأكد من صحتها حيث يقول : « قد خرجت من مكة تريد المدينة فلما كانت يسرف – مكان قريب من مكة – لقيها رجل من أخوالها من بنى ليث يقال له : « عبيد بن أبى سلمة » فقالت له ميهم ؟ ما وراك قال : اجتمعوا على بيعة علىّ فقالت ليت هذه – وتريد السماء انطبقت على هذه وتريد الأرض – إن تم الأمر لصاحبك ردونى ردونى » [(٢)] .

هل أن المؤرّخ ابن الأثير قد وضع هذه الرواية فى ميزان النقد والجرح ؟ أو نقلها فى كتابه بدون فحصها أو تمحيصها ؟ هل يقبل العقل صحة نسبة الرواية المشار إليها إلى أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ؟ والتى كانت أوثق الناس صلة بسيد الخلق وأرجح أمهات المؤمنين عقلاً وأوعاهن لتوجيهات رسول الله ولذلك قال فيها : « خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » .

---

(١) تاريخ الطبرى : ج ٣ ص ١١ ، ١٢ .

(٢) ابن الأثير : الكامل . ج ٣ ص ١٠٥ وتاريخ الطبرى : ج ٣ ص ١٣ .

ويروى هشام عن أبيه فى أمرها قال : « ما رأيتُ أحداً من الناس أعلم بالقرآن ولا بفريضته ولا بحلال وحرام ولا بشعر ولا بحديث العرب ولا النسب من عائشة [١] »

كما يقول عروة فى فضلها : « لو لم يكن لعائشة من الفضائل إلا قصة الإفك لكفاها ذلك فضلاً وعلوّ مجد فإنها نزل فيها من القرآن ما يتلى إلى يوم القيامة » [٢] .

هل أن العقل يقبل نسبة الرواية المشار إليها إلى أم المؤمنين ؟ الواقع أن الإنسان يجد نفسه حائراً أمام هذا التناقض الموجود فى كتب التاريخ يرجع السبب فى إعتقادى إلى أن المؤرخين قد قاموا بجمع الروايات فى كتبهم بدون فحصها أو تمحيصها حتى أن بعضاً منهم قد ذكروها معتمدين بوجودها فى كتب أسلافهم رغم عدم إيمانهم عليها حيث يقول المؤرخ ابن كثير فى تاريخيه : « ولولا ابن جرير وغيره من الحفاظ والأئمة ذكروا ما سقته [٣] » .

وقد أشار المؤرخ ابن خلدون إلى الخلل العلمى فى مقدمته بقوله : « إنه كثيراً ما وقع للمؤرخين أئمة النقل من المغالط فى الحكايات والوقائع لإعتمادهم فيها على مجرد النقل غثًّا أو سميناً ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة فضلوا عن الحق وتاهوا ببيداء الوهم والغلط [٤] .

إن الأمانة العلمية تقتضى بأن أسجل إعترافى فى هذا المجال بعدم وجود هذا الخلل عند المؤرخ ابن خلدون ثم شيخ الإسلام ابن تيمية رغم أن الأخير ليس مؤرخاً ولكن كتابه بعنوان : « منهاج السنة » دليل واضح على منهجه العلمى فى بحث الروايات وتحقيقها من حيث السند والمتن .

وبعد هذا العرض نرجع إلى توضيح حقيقة خروج أم المؤمنين عائشة رضى الله

---

(١) الذهبى : طبقات الحفاظ . ج ١ ص ٢٧ .

(٢) محمد رضا : محمد رسول الله . ص ٢٢٤ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية . ج ٨ ص ٢١٢ .

(٤) ابن خلدون : المقدمة .

عنها إلى البصرة هل أنها خرجت للمطالبة بدم عثمان بدافع البغض والضغينة لأمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهما كما يزعم الطاعنون أو أنها كانت تريد الأمن والاستقرار بعد أن انتشرت الفوضى فى الأمصار الإسلامية ؟ بينما كل شخص كان يطالب الخليفة بالتعجيل بإقامة القصاص على قتلة عثمان ، الواقع انه توجد لدينا مجموعة من الروايات تؤكد أن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها كانت تعتقد بأن عودة الأمن والاستقرار فى الأمصار الإسلامية رهين بإلقاء القبض على المجرمين الذين اشتركوا فى استشهاد عثمان بن عفان رضى الله عنه وأنها كانت لا تهدف من وراء خروجها إلا الى الإصلاح بين الناس واجتماع الكلمة كما يرى الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى كتابه « وبلغ الخبر عائشة – وهى حاجة – ومعها طلحة والزبير فخرجوا إلى البصرة يريدون الإصلاح بين الناس واجتماع الكلمة » (١) .

وأكبر دليل على أن أم المؤمنين لم تقصد من وراء خروجها – تفريق الجماعة – وأن طلحة والزبير ومن معهما كانوا يعلقون آمالاً كبيرة بأن خروجها سوف يساعد على حسم النزاع وجمع الشمل فى آن واحد حيث يقول ابن العربى فى هذا الشأن : « فخرج طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين رضى الله عنهم رجاء أن يرجع الناس إلى أمهم فيراعوا حرمة نبيهم واحتجوا عليها عندما حاولت الامتناع بقول الله تعالى : ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [سورة النساء : ١١٤] .

ثم قالوا لها : « إن النبى قد خرج فى الصلح وأرسل فيه . قال ابن العربى فرجت المثوبة واغتنمت الفرصة وخرجت حتى بلغت الأقضية مقاديرها » (٢) .

وأضاف ابن العربى قائلاً : « يحتمل أنهم خرجوا ليتمكنوا من قتلة عثمان » ويروى هذا المرجع أنه يمكن أن يكونوا قد خرجوا فى جمع طوائف المسلمين وضم نثرهم وردهم إلى قانون واحد حتى لا يضطربوا فيقتتلوا » (٣) .

---

(١) محمد بن عبد الوهاب : مختصر سيرة الرسول . ص ١٤١ .
(٢) ابن العربى : العواصم من القواصم . ص ١٥٢ .
(٣) نفس المصدر : ص ١٥١ .

ويروى الطبرى أن عليًّا عندما وصل إلى البصرة أرسل القعقاع بن عمرو ليقوم الوساطة بينه وبين أصحاب الجمل فلما رجع القعقاع أخبر أنه قد استجاب له أصحاب الجمل وبعث إلى طلحة والزبير يقول : « إن كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع بن عمرو فكفوا حتى ننزل فننظر فى الأمر » فأرسلا إليه : « إنا على ما فارقنا عليه القعقاع بن عمرو من الصلح بين الناس » [(١)] .

ومن هنا يتضح بأن فكرة الصلح كانت هى المسيطرة على عقول الناس من قِبَل الفريقين وإن كُلًّا منهما كانا يتجنبان القتال وسفك الدماء فيما بينهم .

وأكبر دليل على ولاء عائشة لعلىّ بن أبى طالب ولولايته من قبلها كما يقول الإمام ابن حجر : « إن أحداً لم ينقل أن عائشة ومن معها نازعوا عليًّا فى الخلافة ولا دعوا لأحد منهم ليولوه الخلافة » [(٢)] .

إن هذا دليل واضح على أن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها لم تهدف وراء خروجها إلا الصلح بين المسلمين وعودة الأمن والسلام فى الأمصار الإسلامية .

إن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها كانت تعتقد بأن الوحدة لا يمكن أن تتم إلا إذا تم القبض على المجرمين الذين قتلوا عثمان سواء كانوا فى البصرة أو فى الكوفة أو فى مصر وعند ذلك تكون المشكلة قد حُلَّت من أساسها وتكون قد أعفت عليًّا من حرب داخلية كان يخشاها فيعود المسلمون فى سيرهم الطبيعى الذين كانوا يسيرونه فى أيام الخلفاء الثلاثة .

إن هذا هو السبب الذى دفع أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها على شدّ رحالها إلى البصرة وكانت تعتقد أنها وهى تمثل رسول الله فى تحقيق المعنى المقصود من الآية الكريمة :

﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [سورة النساء : ١١٤] .

---

(١) تاريخ الطبرى : ج ٥ ص ١٦٩ .

(٢) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى . ج ١٣ ص ٤١ .

كانت تعتقد أنها تقوم بواجبها كاملاً فى القضاء على خلاف عجز المسلمون عن التغلب عليه كما كان طلحة والزبير كذلك يعتقدان أنهما تقربا إلى الله بإقناع أم المؤمنين لجمع الشمل تحت رايتها ويستجيب المسلمون لها تقديساً لحرمة رسول الله فى شخص أكرم أمهات المؤمنين .

ويؤيدنا فى هذا الإتجاه ما رواه ابن الأثير من أن القعقاع بن عمرو بعثه علىّ رضى الله عنه إلى البصرة فوجد هناك أم المؤمنين فسألها وقال أى أمه ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة ؟ فقالت : أى بنى الإصلاح بين الناس قال : فابعثى إلى طلحة والزبير حتى تسمعى كلامى وكلامهما فبعثتُ إليهما فجاءا فقال لها إنى سألتُ أم المؤمنين ما أقدمها فقالت : الإصلاح بين الناس فما تقولان أنتما امتابعان ؟ أم مخالفان ؟ قالا : بل متابعان قال : فأخبرانى ما وجه هذا الصلاح ؟ فوالله لئن عرفناه لنصلحن ولئن أنكرناه لا نصلح قالا قتلة عثمان فإن هذا إن ترك كان تركاً للقرآن » [١] .

يروى التاريخ بأن عليًّا كان يكن التقدير والإحترام لأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها حيث أنه عندما انتهت معركة الجمل أتى إلى أم المؤمنين عائشة فقال كيف أنت يا أمه ؟ قالت : بخير . قال : يغفر الله لك قالت ولك » [٢] .

وأيضاً روت المصادر التاريخية أنه لما حانت ساعة رحيل أم المؤمنين من البصرة ودّعها سيدنا علىّ نفسه وسار بجانب الهودج حتى خارج المدينة وسير معها أولاده مسيرة يوم كامل [٣] .

وإن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها كانت تصف عليًّا بأنه من الأخيار وعلى هذا الشكل فنّدت المزاعم التى روّجها أعداء الإسلام بأن العلاقة كانت بينهما متوترة

---

(١)ابن الأثير : الكامل . ج ٣ ص ١١٩ .
(٢) نفس المصدر : ج ٣ ص ١٣٠ .
(٣) ابن كثير : البداية . ج ٧ ص ٢٤٦ .

وقائمة على الحقد والضغينة حيث يروى ابن الأثير أن أم المؤمنين قالت للناس بعد موقعة الجمل : « إنه والله ما كان بينى وبين علىّ فى القدم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائهم أقارب زوجها وإنه على معتبتي لمن الأخبار فقال : صدقت وبرّت وإنها لوزجة نبيكم فى الدنيا والآخرة » [١] .

---

(١) ابن الأثير : الكامل . ج ٣ ص ٢٠٥ .

بين علىّ بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما

ساد الاعتقاد فى الأمصار الإسلامية بعد استشهاد عثمان بن عفان رضى الله عنه بأن الاستقرار والأمن لا يمكن تحقيقهما إلا بعد تنفيذ حكم الإعدام فى المجرمين الذين اشتركوا فى اغتيال الخليفة كما يتضح من قول طلحة رضى الله عنه : « وإن تركتم (أعنى قصاص) لم يقم لكم سلطان ولم يكن لكم نظام » (١)

وكان معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه يفكر بنفس الأسلوب الذى كان يعتقد به معظم أفراد الأمة الإسلامية بشأن حل الأزمة التى كانت تواجهها فى ذلك الوقت وأن معاوية لم يكن مدعياً فى وقت من الأوقات للخلافة فى أيام علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه كما يروى إمام الحرمين : « ومعاوية وإن قاتل عليًّا فإنه لا ينكر إمامته ولا يدعيها لنفسه وإنما كان يطلب قتلة عثمان رضى الله عنه » (٢) .

إن طلب معاوية من علىّ بن أبى طالب بشأن تسليم القتلة أو إقامة الحد فيهم دليل واضح بأنه كان يعتبر عليًّا بن أبى طالب خليفة المسلمين وكما أنه غير راضٍ أن يطلق عليه والياً لأمور المسلمين حتى تمت مبايعة الحسن له .

يروى التاريخ بأن أعوان معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه كانوا يكنّون الاحترام والتقدير لعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه حيث أن عبد الله بن مسلم الخولانى قام إلى معاوية أثناء تشاوره فى أمر الحرب فقال له : علام تقاتل عليًّا وليس لك مثل فضله أو سابقته فى الإسلام فقال معاوية : انى لا أقاتله وأنا أدعى أن لى مثل فضله أو سابقته وإنما أطالبه بأن يدفع إلينا قتلة عثمان حتى أقتص منهم (٣) .

---

(١) تاريخ الطبرى : ج ٥ ص ١٧٥ .

(٢) إمام الحرمين عبد الملك الجوينى : لمع الأدلة فى قواعد عقائد أهل السنة والجماعة . ص ١١٥ .

(٣) دكتور /طه حسين : الفتنة الكبرى . ج ٢ ص ٦٥ .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « إن عسكر معاوية يعلمون أن عليًّا أفضل منه » (١) .

إن معاوية لم يقاتل عليًّا لأمر الخلافة أبداً كما يزعم أعداء الإسلام بل إنه كان يطالب بإقامة القصاص على الذين اشتركوا فى اغتيال عثمان هذا هو الحل الوحيد لإحلال السلام فى الأمصار الإسلامية من وجهة نظره حتى أن عليًّا كان مقتنعاً بما يراه جمهور المسلمين بأخذ القصاص من الجناة ولكن فريقاً من شيعته قد ألبسوا الحق بالباطل ووضعوا العراقيل أمام تحقيق ما كان يسعى إليه لدرجة أصبح من المتعذر عليه إقامة الحد فى حينه خشية تفاقم الأمور كما يرى شيخ الإسلام ابن تيمية : « وعلىّ رضى الله عنه كان عاجزاً عن قهر الظلمة من العسكريين ولم تكن أعوانه يوافقونه على ما يأمر به وأعوان معاوية يوافقونه » (٢) .

وإن عليًّا قد اعترف لعجزه بكل وضوح عندما سأله طلحة والزبير ومعهما جمع من الصحابة فى أمر قتلة عثمان فقال : « يا إخوتاه لستُ أجهل ما تعلمون ولكن كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم هاهم هؤلاء قد صارت معهم عبدانكم وثابت إليهم أعرابكم وهم خلالكم يسومونكم ما شاءوا فهل ترون موضعاً لقدرة على شىء مما تجدون ؟ قالوا : لا . قال : فوالله لا أرى إلا رأياً ترونه إن شاء الله إن هذا أمر جاهلية » (٣) .

إن الكلام المشار إليه يوحى بكل جلاء بأن عليًّا كان مقتنعاً ويريد تنفيذ الحكم الشرعى فى المجرمين لكن أعوانه كانوا عقبة فى تنفيذ ما كان يريده علىّ بن أبى طالب حيث كانوا غير مخلصين له لأنهم كانوا أصحاب دنيا لا أصحاب دين على حد قول الدكتور طه حسين (٤) .

---

(١) ابن تيمية : منهاج السنة . ج ٤ ص ٣٨٣ .
(٢) ابن تيمية : منهاج السنة . ج ٤ ص ٣٨٣ ، ٣٨٤ .
(٣) دكتور /إبراهيم شعوط ، والدكتور /محمد زيادة : الحقيقة المثالية فى الإسلام . ص ٣٨١ .
(٤) دكتور /طه حسين : الفتنة الكبرى . ج ٢ ص ٨٠ .

الواقع أن السلطة الفعلية كانت بيد السبئيين فى معسكر علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه والتى أدت أن يسود القلق والدهشة بين صفوف من المخلصين الذين كانوا يكنّون الحب والتقدير لعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه مما دفع أخاه عقيل أن ينضم إلى صف معاوية كما أشار إليه المؤرخ الشيعى : « وفارق عقيل أخاه عليًّا أمير المؤمنين فى أيام خلافته وهرب إلى معاوية وشهد صفين معه [١] .

وكما أن الحسن بن علىّ رضى الله عنه قد كان يدرك حقيقة الأمر جيداً بأن السبئيين لهم دور نشط ضد الأمة الإسلامية ولذلك نصح والده بعدم خَوض المعركة ضد معاوية كما يروى لنا المؤرخ ابن كثير : « يا أبتى دع هذا فإن فيه سفك دماء المسلمين ووقوع الاختلاف بينهم » [٢] .

وإن علياً قد أقر بأن أعوانه خارجون عن سلطته وإدارته وأنهم ينفذوه ما يدور فى مخيلتهم ودفعه ذلك إلى كشف حقيقة أمرهم على رءوس الخلائق حيث يروى الأغانى قول أمير المؤمنين بهذا الصدد : « وددتُ أنى لم أركم معرة والله جرعتُ ندماً وملأتم جوفى غيظاً بالعصيان والخذلان حتى لقد قال قريش ابن أبى طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب ويحيم وهل فيهم أشد حراساً لها منى والله لقد دخلت فيها وأنا ابن عشرين وأما الآن قد نيفتُ على الستين ولكن لا أرىٰ لمن لا يطاع [٣] .

وفى خطبة أخرى يذكر فيها من المعاناة والمشاكل التى لاقاها من قِبَل أعوانه يقول : « وقد دعوتكم إلى حرب هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً وسرًّا وإعلاناً وقلتُ لكم : اغزوهم من قبل أن يغزوكم فوالذى نفسى بيده ما غزى قوم فى عقر دارهم إلا ذلوا فخاذلتم وتواكلتم وثقل عليكم قولى واتخذتموه وراءكم ظهريًّا حتى شنت عليكم الغارات يا عجباً كل العجب يميت القلب ويشغل الفهم ويكثر الأحزان من تضافر هؤلاء القوم على

---

(١) ابن عنبه عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب : ص ١٥ .
(٢) ابن كثير : البداية والنهاية . ج ٧ ص ٢٢٩ .
(٣) أبو الفرج الأصفهانى : الأغانى . ج ١٥ ص ٤٣ .

باطلهم وفشلكم عن حقكم فأنتم والله من السيف أفرّ يا أشباه الرجال — ولا رجال — » [(١)] .

إن عليًّا كان صادقاً فى كلامه حيث أن أعوانه قد خلقوا له جوًّا من القلق والتوتر مما جعله أن ينفجر باكياً من شدة التأثر مما يجرى حوله كما يروى ابن أبى الحديد نقلاً عن شيخه أبى جعفر الإسكافى : « كان أهل البصرة كلهم يبغضونه وكثير من أهل الكوفة وكثير من أهل المدينة أمامكة كانوا يبغضونه قاطبة وكانت قريش كلها على خلافة وكان جمهور الخلق مع بنى أمية وروى عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمٰن بن أبى بكرة قال : « سمعت عليًّا وهو يقول ما لقى أحد من الناس ما لقيتُ ثم بكى » [(٢)] .

إن السبئيين كانوا يدركون جيداً بأن الصلح لا يخدم مصالحهم ومطامعهم ومن ثم قاموا بسد جميع الوسائل المؤدية إلى الصلح لأنهم كانوا على يقين بأن الصلح سيَكشف أمرهم وسيسلم رءوسهم إلى سيف الحق وقصاص الخليفة فدبروا أمرهم فلم يجدوا سبيلاً لنجاتهم إلا بالعمل على إفساد الصلح وتفرقة صفوف المسلمين واجراء عمل يبلبل الأفكار ويسئ ظن كل فريق بصاحبه .

يقول ابن الأثير بهذا الشأن : « وبات الذين أثاروا أمر عثمان فى شر ليلة وقد أشرفوا على الهلكة وباتوا يتشاورون ليلتهم فاجتمعوا على الحرب فى السر فغدوا مع الغلس وما يشعر بهم أحد فخرجوا متسللين وعليهم ظلمة يقصد مُضَرهم إلى مضرهم وربيعتهم إلى ربيعتهم ويمنهم إلى يمنهم فوضعوا السِلاح بغتة فيهم فثار أهل البصرة وثار كل قوم فى وجوه أصحابهم الذين أتوهم وبلغ طلحة والزبير ما وقع من الاعتداء على أهل البصرة فقالا ما هذا ؟ قالوا طرقنا أهل الكوفة ليلاً فقال طلحة والزبير : « قد علمنا أن عليًّا غير منته حتى يسفك الدماء وأنه لن يطاوعنا » .

وفى هذا الوقت حسب تخطيط المفسدين ذهبت فرقة أخرى تحت جنح الظلام ففاجأت معسكر علىّ بالكوفة فلما بلغ عليًّا رضى الله عنه هذا الخبر قال ما هذا ؟ قال

---

(١) المبرد : الكامل فى اللغه والأدب . ج ١ ص ١٣ .

(٢) ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة .

له أصحابه من أهل الكوفة : ما شعرنا إلاّ وقوم من أهل البصرة قد بيتونا فقال علىّ رضى الله عنه نفس العبارة التى قالها طلحة والزبير : « لقد علمتُ أن طلحة والزبير منتهيين حتى يسفكا الدماء وأنهما لم يطاوعنا » [١] .

فى الواقع أن نشوب الحرب بين علىّ بن أبى طالب وأم المؤمنين عائشة رضى الله عنهما من ناحية وبين علىّ بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما من ناحية أخرىٰ كانت نتيجة للمؤامرات والمكائد التى دبرها أعداء الإسلام لأن الصلح والوئام بين الطرفين لا يرضى مثيرى الفتنة لأنه فى نظرهم يقضى على كيانهم .

جدير بالإشارة هنا أن عليًّا قد أقرّ بوضوح بعدم وجود الحساسية والتنافس للسلطة بينه وبين معاوية حيث أنهما ينتميان إلى أصل واحد كما جاء فى الخطاب الذى أرسله إلى الأمصار يقتص فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين إذ يقول : « فكان بدأ أمرنا التقينا والقوم من أهل الشام والظاهر أن ربنا واحد ودييننا واحد ودعوتنا فى الإسلام واحدة ولانستزيدهم فى الإيمان بالله والتصديق برسوله ولا يستزيدوننا » [٢] .

إذا كان هناك سوء التفاهم بين علىّ ومعاوية وإن العلاقة بينهما كانت متوترة كما يزعم أعداء الإسلام فكيف نصح علىّ بن أبى طالب ابنه الحسن على قبول إمارة معاوية ابن أبى سفيان حيث يقول الحسن : « وإن عليًّا أبى كان يقول لا تكرهوا إمارة معاوية » [٣] .

وإذا كانت توجد بينهما حساسية وعداء فكيف وصف علىّ بن أبى طالب معاوية بأوصاف جليلة والتى لا يقولها إلا لمن يستحقها مثل قول الحسن نقلاً عن أبيه : « إن أبى كان يحدثنى أن معاوية سيلى الأمر فوالله لو سرنا إليه بالجبال والشجر وما شككتُ أنه سيظهران » [٤] .

وكذلك فإن معاوية كان يكن كل تقدير واحترام لعلىّ بن أبى طالب رضى الله

---

(١) ابن الأثير : الكامل . ج ٣ ص ١٣٣ .

(٢) ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة . ج ٢ ص ١٥٩ .

(٣) نفس المصدر : ج ٣ ص ٣٦ .

(٤) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة . ج ١ ص ١٧٣ .

عنه حيث أنه عندما وصل إليه نبأ وفاة علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه انفجر باكيًا وكما جاء فى البداية والنهاية : « لما جاء خبر قتل علىّ إلى معاوية جعل يبكى فقالت امرأته : أتبكيه وقد قاتلته ؟ فقال ويحك إنك لا تدرين ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم » (١) .

عن أبى صالح قال : قال معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما لضرار بن ضمرة : صف لى عليًّا فقال : أو تعفينى قال : بل صفه قال : أو تعفينى ؟ قال لا أعفيك قال أما إذاً فإنه والله كان بعيد المدى شديد القوى يقول فصلاً ويحكم عدلاً ينفجر العلم من جوانبه ومن نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل وظلمته كان والله غزير الدمعة طويل الفكرة يقلّب كفه ويخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن .

كان والله كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ويبتدئنا إذا أتيناه ويأتينا إذا وعدناه نحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة له ولا نبتديه فإن تبسّم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم يعظّم أهل الدين ويحب المساكين لا يطع القوى فى باطله ولا ييأس الضعيف من عدله وأشهد بالله لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سجوفه وغارت نجومه وقد مَثُل فى محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ويبكى بكاء الحزين وكأنى أسمعه وهو يقول : يا دنيا أبى تعرضت أم لى تشوّقت هيهات هيهات غُرّى غيرى ثبتك ثلاثا لا رجعة لى فيك فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كبير آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق .

قال : فذرفت دموع معاوية حتى خرجت على لحيته فما يملكها وهو ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء ثم قال معاويه : « رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه ياضرار ؟ قال حزن من ذُبح ولدها فى حجرها فلا ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها » (٢) .

وإن آخر خطبة ألقاها معاوية فى حياته كان جزء منها يدور حول الثناء والمدح

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية . ج ٨ ص ١٣٠ .

(٢) ابن الجوزى : صفوة الصفوة . ص ١٢١ ، ١٢٢ .

على أسلافه من الخلفاء ما نصه : « لن يأتكم من بعدى إلا من أنا خير منه كما أن من قبلى كان خيراً منى » (١) .

إن هذا لدليل واضح على صدق مشاعر الصحابة تجاه بعضهم البعض مهما حاول الحاقدون تلفيق التاريخ بالأكاذيب والترهات التى يراها القارىء غير المتمكن بأمور الرواية والدراية على أنهم رضوان الله عليهم أجمعون مختلفون ويؤيد ذلك ما ذكره معاوية رضى الله عنه فى جزء من آخر خطبة له والتى ينوه منها بخصال الصحابة وفى المقدمة بالطبع أبو الحسن علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه .

وإن معاوية كان يستشير عليًّا فى أجل الأمور الفقهية وأدقها ومن ثم إنه اعتبر وفاة علىّ بن أبى طالب خسارة للعلم والفقه كما جاء فى الاستيعاب : « ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبى طالب » (٢) .

الروايات التى أسلفت ذكرها توضح بأن العلاقة بين علىّ بن أبى طالب ومعاوية ابن أبى سفيان رضى الله عنهما كانت قائمة على الإخلاص والصفاء وأن كُلاً منهما كان يسعى إلى جانب الحق حسب اجتهادهما وأن الأمر لم يصل لدرجة بأن تنشب الحرب بينهما ولكن مع الأسف أن الحرب قد دارت على غفلة كل منهما وأن دور السبائين فيها لا يخفى على كل من له إلمام بالتاريخ .

---

(١) ابن الأثير : الكامل . ج ٤ ص ٢ .

(٢) الإستيعاب تحت الاصابه : ج ٣ ص ٤٥ فى ذكر سيدنا علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه .

الفصل الخامس

حقيقة العلاقة بين معاوية وابنه يزيد وبين
علىّ بن أبى طالب وابنيه الحسن والحسين رضى الله عن الجميع

إمارة معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه

عندما توفى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه قام أهل الشام لمبايعة معاوية رضى الله عنه لتوليه أمور المسلمين [١] .

ثم بايعه سائر الناس إعترافاً لحقيقة الأمر الواقع وحرصاً على حفظ وحدة الأمة .

وجدير بالذكر أن هناك كثيراً من الميزات التى تؤهل معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه أن يتولى الولاية بعد علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه مثل خبرته الواسعة فى إدارة الحكم حيث أنه كان والياً من قِبَلِ عمر وعثمان رضى الله عنهما على الشام لمدة عشرين سنة فتحنّك فى الإدارة وأصبح إماماً فى صناعته [٢] .

ومعاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه قد ذكره الإمام ابن حجر فى كتابه : « تقريب التهذيب » وقال : إنه الصحابى الخليفة وأسلم قبل الفتح وأنه كتب الوحى لرسول الله ﷺ وذكر الإمام النووى فى كتابه : « تهذيب الأسماء واللغات » ترجمة وافية لمعاوية وجاء فيها أنه أسلم يوم الحديبية وكتم إسلامه عن أبيه وأمه وشهد مع النبى ﷺ غزوة حنين وكان أحد كتّاب الوحى للرسول ﷺ وروى عن النبى ﷺ مائة وثلاثة وستين حديثاً إتفق البخارى ومسلم على أربعة منها وانفرد البخارى بأربعة ومسلم بخمسة وروى عن جمع من الصحابة كابن عباس وأبى الدرداء وابن عمر وابن الزبير وروى عنه جمع من التابعين وقد دعا له النبى ﷺ وقال : « اللهم اجعله هاديا ومهديًا » [رواه الترمذى : وقال حديث حسن] [٣] .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية . ج ٨ ص ١٦ .

(٢) كرد على : الإدارة الإسلامية . ص ٦٥

(٣) جامع الترمذى : ج ٣ ص ٢٤٧ .

وقال فى آخر موقع داعياً له : « اللهم علّم معاوية الكتاب والحساب وقِهِ العذاب » [١] .

ونقل صاحب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : دعا النبى ﷺ فى حق معاوية بخصوص زيادة تفقهه فى الدين وتمكنه فى البلاد ما نصه : « اللهم علّمه الكتاب ومكّن له فى البلاد وقِهِ العذاب » [٢] .

ويروى صاحب مجمع الزوائد بأن النبى ﷺ قد طلب معاوية للتشاور معه فى أمر من الأمور لعدم وجود الشيخين رضى الله عنهما آنذاك : « ادعوا معاوية أحضروه أمركم فإنه قوى أمين » [٣] .

إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما قام بعزل عمير بن سعد عن ولاية حمص وعين مكانه معاوية بن أبى سفيان فصدر من بعض الناس كلاماً غير لائق فى حق معاوية ولكن عمير بن سعد قد تدارك الوضع فوجه إليهم موبخاً قائلاً : « لا تذكروا معاوية إلا بخير فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : اللهم اهده » [٤] .

وإن سعد بن أبى وقاص الذى كان يعدّ من العشرة المبشرين بالجنّة اتخذ موقفاً محايداً فى الخلاف الذى وقع بين علىّ ومعاوية رضى الله عنهما وكان يقول فى حق معاوية : « ما رأيتُ أحداً بعد عثمان أقضى من صاحب هذا الباب يعنى معاوية » [٥] .

وإن قبيصة بن جابر رضى الله عنه كان يقول عنه : « ما رأيتُ أحداً أعظم حلماً ولا أكثر سؤدداً ولا أبعد أناة ولا ألين مخرجاً ولا أرحب باعاً بالمعروف من معاوية » [٦] .

يقول إبراهيم بن السعيد بأنه استفسر عن أبى أمامة حول الأفضلّية بين معاوية

---

(١) ابن عبد البر : الإستيعاب تحت الإصابة . ج ٣ ص ٣٨١ .

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ج ٩ ص ٣٥٦ .

(٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ج ٩ ص ٣٥٦ .

(٤) جامع الترمذى : ج ٢ ص ٢٤٧ .

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية . ج ٢ ص ١٣٥ .

(٦) نفس المصدر : ج ٨ ص ١٣٥ – وتاريخ الخلفاء : لجلال الدين السيوطى . ص ١٤٩ .

وعمر بن عبد العزيز رضى الله عنهما فرد عليه قائلاً : « لا نعدل بأصحاب محمد ﷺ أحداً » [١] .

إن عمر بن عبد العزيز له أهمية كبيرة فى التاريخ الإسلامى بسبب زهده وتدينه وأعماله الجليلة التى خلدت اسمه فى التاريخ ولكنه رغم هذا لم يصل إلى مرتبة معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه .

قد أورد المؤرخ ابن كثير فى كتابه بعض الأحاديث التى تدور حول تولية معاوية لأمور المسلمين وهى ليست خالية من الضعف ولم تصل إلى درجة الصحة عند علماء الجرح والتعديل منها قول النبى ﷺ لمعاوية : « يا معاوية إن ملكت فأحسن » وفى حديث آخر : « يا معاوية إن وليتَ أمراً فاتق الله واعدل » [٢] .

واستدل بها معاوية على شرعية خلافته حيث كان يقول : « والله ما حملنى على الخلافة إلا قول رسول الله لى » [٣] .

---

(١) ابن تيمية : الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية . ص ٤٠٤ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية . ج ٨ ص ٢٠ .

(٣) نفس المصدر : ص ٢٠ .

مبايعة الحسن بن علىّ لمعاوية
ابن أبى سفيان رضى الله عنهما

إن الحسن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه كان مسالماً وليس راغباً فى إراقة دماء المسلمين ومن ثم نصح أباه أن يبتعد عن تولى الخلافة وعن عدم مغادرة المدينة المنورة وأن لا يرحل إلى العراق للقاء طلحة والزبير وعائشة وإنما كان يؤثر له أن يبقى فى مهاجره مجاوراً للنبى ﷺ .

إن الحسن كان كارهاً للفتنة منذ بدايتها ويميل إلى السلم ولذلك أنه بادر للصلح مع معاوية تصديقاً لقول النبى ﷺ : « إن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين كبيرتين من المسلمين » [١] .

وكما قد نفذ وصية أبيه بعدم كراهية إمارة معاوية وعدم الافتراق منه : « لا تكرهوا إمارة معاوية فإنكم لو فقدتموه رأيتم الرءوس تندر عن كواهلها كأنها الحنظل » [٢] .

يروى التاريخ بأن أخاه الحسين كان متردداً فى إقامة الصلح مع معاوية ولكن الحسن وجهه قائلاً : « اسكت فأنا أعلم بالأمر منك » [٣] ..

ويروى بعض المؤرخين بأن الحسن أنذر أخاه بوضعه فى الحديد إن لم يطعه [٤] .

جدير بالذكر أن السبئيين كانوا يرون بأن الصلح ليس فى مصلحتهم على الإطلاق ولذلك ركّزوا جهودهم فى محاولة إشعال الحرب بين الطائفتين كما حدث بين علىّ ومعاوية ومن ثم فقد قاموا بتحريض حجر بن عدى [٥] الذى كان من التابعين أن

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية . ج ٨ ص ١٨ .

(٢) نفس المصدر : ص ١٣١ .

(٣) تاريخ الطبرى : ج ٦ ص ٦٢ .

(٤) دكتور /طه حسين : الفتنة الكبرى . ج ٢ ص ١٨٦ .

(٥) يرى الكاتب الشيعى العلامة حسين بخش فى كتابه : « إمامت وملوكيت » باللغة الأردية بأن حجر ابن عدى كان من كبار الشيعة فى الكوفة وأن له منزلة خاصة لديهم : ص ٦٨ .

يقف ضد الصلح الذى تم بين الحسن ومعاوية رضى الله عنهما .

إن المؤرخ ابن كثير يصرح بكل وضوح بخصوص تجمع السبئيين حول حجر حيث يقول : « وقد التف على حجر جماعات من شيعة علىّ يتولون أمره ويشدون على يده ويسبون معاوية ويتبرأون منه » (١) .

ومن ثم نلاحظ أن حجر بن عدى قد وقف ضد الصلح وألح على الحسن بقيام الحرب ضد معاوية وكما استعمل الكلمات غير اللائقة فى حق الحسن عندما رفض مطالبتهم بشأن شنّ الحرب ضد خليفة المسلمين كما يروى لنا المؤرخ أبو حنيفة الدينورى : « قالوا : وكان أول من لقى الحسن بن علىّ رضى الله عنه فندمه على ما صنع ودعاه إلى الحرب حجر بن عدى فقال له يا ابن رسول الله لوددتُ أن متُّ قبل ما رأيت أخرجتنا من العدل إلى الجور فتركنا الحق الذى كنا عليه ودخلنا فى الباطل الذى نهرب منه وأعطينا الدنيّة من أنفسنا وقبلنا الخسيسة التى لم تلق بنا » (٢) .

وعندما فشل حجر بن عدى لدى الحسن حيث أنه لم يستجب لما أراده حجر ابن عدى فتوجه إلى أخيه الحسين قائلاً له : « أبا عبد الله شريتم الذل بالعز وقبلتم القليل وتركتم الكثير أطعنا اليوم واعصنا الدهر دع الحسن وما رأى من هذا الصلح وأجمع إليك شيعتك من أهل الكوفة وغيرها وولّنى وصاحبى هذه المقدمة فلا يشعر ابن هند إلا ونحن نقارعه بالسيوف » (٣) .

ولكن الحسين ردّ عليه قائلاً : « إنا قد بايعناه وعاهدنا ولا سبيل إلى نقض بيعتنا » (٤) .

يروى المؤرخ الدينورى بأن حجر بن عدى قد ألح على الحسين لقيام الحرب ضد

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية . ج ٨ ص ٥٠ .

(٢) أبو حنيفة الدينورى : الأخبار الطوال . ص ٢٢٣ .

(٣) أبو حنيفة الدينورى : الأخبار الطوال . ص ٢٢٠ .

(٤) نفس المصدر : ص ٢٣٤ .

معاوية مرة أخرى بعد وفاة الحسن حيث أنه أرسل إليه خطاباً من الكوفة مطالباً فيه بإشعال نار الحرب ضد معاوية - ولكن رد عليه الحسين بن علىّ رضى الله عنه قائلاً : « فلن يحدث الله به حدثاً وأنا حى » [(١)] .

الواقع أن السبئيين قد فشلوا فى تحقيق أهدافهم التى كانوا يهدفون من ورائها الإلحاح على الحسن والحسين رضى الله عنهما لإشعال الحرب ضد معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه .

إن التاريخ يؤكد بأن الصلح الذى تم بين الحسن ومعاوية رضى الله عنهما كان يعتبر مرحلة جديدة فى تاريخنا الإسلامى وسمى ذلك العام أى [٤١ هـ] عام الجماعة لاجتماع الناس فيه على خليفة واحد حيث أن الوضع قد رجع إلى ما كان عليه أيام الخلفاء الثلاثة رضوان الله عليهم أجمعين .

إن عصر معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه قد شهد أمناً واستقراراً فى الأمصار الإسلامية بالإضافة إلى إعلاء كلمة الله فى الأرض حيث زادت الفتوحات الإسلامية التى التى توقفت فى عصر علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه كليًا نظراً للعراقيل التى وضعها السبئيون أمامه .

يقول المؤرخ ابن كثير فى معرض ذكره عن ولاية معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه : « الجهاد فى بلاد عدو قائم وكلمة الله عالية والغنائم ترد إليه من أطراف الأرض والمسلمين معه فى راحة وعدل وصفح وعفو » [(٢)] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية معلقاً على اهتمام معاوية برعيته : « كانت سيرة معاوية مع رعيته من خيار أمير الولاة وكان رعيته يحبونه » [(٣)] .

إن معاوية أول شخص أدرك بثاقب نظره خطر ملك الروم ونواياه - ضد الأمصار

---

(١) نفس المصدر : ص ٢٢٢ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية . ج ٨ ص ١١٩ .

(٣) ابن تيمية : منهاج السنة . ج ٣ ص ١٨٩ .

الإسلامية – ومن ثم أرسل إليه خطاباً شديد اللهجة وينبهه فيه بعدم استغلال الموقف القائم بينه وبين عليّ بن أبى طالب رضى الله عنهما كما يروى المؤرخ ابن كثير : « فلما رأى ملك الروم اشتغال معاوية بحرب عليّ تدانى إلى بعض البلاد فى جنود عظيمة وطمع فيه فكتب معاوية إليه : « يا لعين اصطلحن أنا وابن عمى عليك ولأخرجنك من جميع بلادك ولأضيقن عليك الأرض فعند ذلك خاف ملك الروم وانكف وبعث يطلب الهدنة » (١) .

إن معاوية قد حقق كثيراً من الإنجازات لصالح الإسلام والمسلمين والتى كانت توجد فى أيام الخلفاء الثلاثة – رضوان الله عليهم أجمعين – كما يروى المحدث الشاه ولى الله الدهلوى : « أن أهداف الخلافة الراشدة لم يتحقق فى عصر عليّ ولكن عندما تولى معاوية الولاية فقد إتفق الناس عليه ورُفعت الفرقة فيما بينهم واتحد المسلمون على كلمة واحدة رغم أن معاوية ما كان يفوق على عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه ولكنه قد حقق أهداف الخلافة الراشدة » (٢) .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية . ج ٨ ص ١١٩ .

(٢) الشاه ولى الله الدهلوى : . إزالة الخفاء . ج ١ ص ١٤٣ .

الموقف المشرف لمعاوية تجاه الحسن والحسين رضى الله عنهم

يروى التاريخ بأن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه قد اتخذ موقفاً مشرّفاً للحسن والحسين رضى الله عنهما فى أيام ولايته وكان يعطف عليهما ويتعامل معهما بالحب والتقدير ويرسل إليهما الهدايا الثمينة بالإضافة إلى المبالغ السنوية التى كانت مخصصة لكل منهما وأنهما كانا يزوران معاوية كل سنة ويقيمان عنده كضيفين عزيزين ومحترمين كما يقول المؤرخ ابن كثير : « فلما استقرت الخلافة لمعاوية كان الحسين يتردد عليه مع أخيه الحسن فيكرمهما معاوية إكراماً زائداً ويقول لهما مرحباً وأهلاً ويعطيهما عطاء جزيلاً وقد أطلق لهما فى يوم واحد مائتى ألف » [١] .

وإن المؤرخ ابن كثير قد ذكر فى كتابه فى عدة مواضع تلك الهدايا والمبالغ التى كان يعطيها معاوية للحسن والحسين وأفراد من بنى هاشم حيث يقول : « قدم الحسين ابن علىّ على معاوية فقال له : لأجيزنك بجائزة لم يجزها أحد كان قبلى فأعطاه أربعمائة ألف ألف ووفد إليه مرة الحسن والحسين فأجازهما على الفور بمائتى ألف » [٢] .

إن المؤلف الشيعى ابن أبى الحديد قد أشار فى شرح نهج البلاغة إلى تلك العطايا التى كان يهديها معاوية إلى الحسن والحسين وكبار أناس من بنى هاشم حيث يقول : « ومعاوية أول رجل فى الأرض وهب ألف ألف وابنه « يزيد » أول من ضاعف ذلك كان يجيز الحسن والحسين ابنى علىّ فى كل عام ولكل واحد منهما بألف بألف درهم وكذلك كان يجيز عبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر » [٣] .

ويروى الرواة بأن الحسين كان يزور معاوية كل سنة بعد وفاة أخيه وينال العطايا

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية . ج ٨ ص ١٥٠ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية . ج ٨ ص ١٣٧ .

(٣) ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة . ج ٢ ص ٨٢٣ .

والهدايا من قِبَل الخليفة : « ولما توفى الحسن كان الحسين يفد إلى معاوية كل عام فيعطيه ويكرمه » [١] .

وقد أشار المؤرخ أبو حنيفة الدينورى إلى تلك الصلات التى كان يجزلها معاوية للحسن والحسين وبالإضافة إلى العلاقة الطيبة التى كانت توجد بينهم طوال فترة حكمه إذ يقول : « لم ير الحسن ولا الحسين طوال حياة معاوية منه سوءاً فى أنفسهما ولا مكروها ولا قطع عنهما شيئاً مما كان شرط لهما ولا تغير لهما عن بر » [٢] .

إن هذا الموقف النبيل والمشرف الذى اتخذ أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه تجاه الحسن والحسين رضى الله عنهما طوال فترة حياته وأنهما كانا دائم الترحيب والتقدير عنده كما يتضح من الروايات التى أسلفت ذكرها .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية . ج ٨ ص ١٥١ .

(٢) أبو حنيفة الدينورى : الأخبار الطوال . ص ٢٢١ .

هل عدل معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه عن مبدأ الشورى ؟

يرى بعض الباحثين أن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه عدل عن مبدأ الشورى بعد أن استخلف ابنه يزيد على ولاية أمور المسلمين وأن هذا لم يكن مألوفا فى عصر الخلفاء الراشدين حيث أن أبا بكر قد عهد إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولم يخطر له أن يعهد إلى أحد من أبنائه وزجر عمر من طلب إليه أن يعهد لعبد الله ابنه ولم يخطر لعثمان أن يعهد إلى أحد وأبى علىّ أن يستخلف أحدًا وقال لأصحابه حين سألوه ذلك : أتركم كما ترككم رسول الله وعلى حد قول هؤلاء الباحثين بأن معاوية أول من أدخل حكم القياصرة والأكاسرة فى الإسلام .

قبل أن ندخل فى الموضوع الذى نحن بصدده الآن من الأفضل أن نلقى نظرة على مفهوم الشورى وطبيعتها فى الإسلام من خلال الوقائع فى عهد رسول الله ﷺ أولا وأصحابه ثانيًا لأن هذا يساعد على فهم حقيقة دراستنا بخصوص استخلاف معاوية لابنه يزيد على ولاية أمور المسلمين .

آراء العلماء بشأن مفهوم الشورى : يقول الإمام محمد عبده شارحاً لمفهوم الشورى : « ومعلوم أن الشرع لم يجىء ببيان كيفية مخصوصة لمناصحة الحكام ولا طريقة معروفة للشورى عليهم كما لما لم يمنع كيفية من كيفياتها الموجبة لبلوغ المراد منها فالشورى واجب شرعى وكيفية إجرائها غير محصورة فى طريق معين » [١] .

ويقول سيد قطب : « أما الشكل الذى تتم به الشورى فليس مصبوبًا فى قالب حديدى فهو متروك للصورة الملائمة لكل بيئة وزمان لتحقيق ذلك الطابع فى حياة الجماعة الإسلامية والنظم الإسلامية كلها ليست أشكالا جامدة وليست نصوصًا حرفية

---

(١) رشيد رضا : تاريخ الأستاذ /محمد عبده . ج ٢ ص ٢٠٧ .

إنما هى قبل كل شىء روح ينشأ عن استقرار حقيقة الإيمان فى القلب وتكيف الشعور والسلوك بهذه الحقيقة والبحث فى إشكال الأنظمة الإسلامية دون الاهتمام بحقيقة الإيمان الكامنة وراءها لا يؤدى إلى شىء » [١] .

ويرى جمال الدين الأفغانى أنه ليس هنالك من أهمية على الإطلاق للكثرة أو القلة فى الشورى [٢] .

جدير بالذكر أن العلماء قد اتفقوا بأن الشورى لا تكون إلا فى الأمور التى لا نص فيها أى أنها لا تكون إلا فيما لا وحى فيه وذلك استنادًا إلى القاعدة الشرعية الفقهية : « لا اجتهاد فى موضع النص » ولكنهم إختلفوا مع ذلك فى الموضوعات التى يمكن أن تكون مجالاً للشورى فبعضهم كالطبرى وابن العربى يريان بأن الشورى لا تكون إلا فى الأمور الدنيوية كالحروب [٣] والبعض الآخر كالألوسى والجصاص يريان بأنها تكون فى الأمور الدنيوية وكذلك الأمور الدينية التى لا وحى فيها مستندًا إلى أن الرسول ﷺ شاور المسلمين فى أسارى بدر وهو أمر من أمور الدين [٤] .

يتضح من هذا بأن الشورى تكون فى الأمور العامة أو الهامة والتى تهم المسلمين والتى لا وحى فيها وكذلك فإن الفقهاء لهم الحرية فى تطبيق مبدأ الشورى وفقاً لأوضاعهم المتغيرة مستندين على أن الشريعة لم تقم بشرح كيفية تطبيق هذا المبدأ ولذلك نلاحظ بأن الشورى متروكة لحرية الجماعة فى تعيينها وتطبيقها ومن ثم فإن الشورى فى الإسلام مجرد طلب النصيحة أو الاستنصاح بغية الاستفادة من ذلك لا أكثر ولا أقل وقد يؤخذ بها أو لا يؤخذ وأن هذا يرجع فى الآخر إلى تقدير الحاكم كما يتضح من خلال الوقائع على عهد الرسول ﷺ أولاً ومن نهج خلفاء الراشدين ثانياً .

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن تفسير سورة الشورى . ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ .

(٢) عباس محمود العقاد : الديمقراطية فى الإسلام . ص ٨٢ .

(٣) ابن جرير الطبرى : جامع البيان عن تأويل القرآن . ج ٧ ص ٣٤٣ وأحكام القرآن لابن العربى : ج ١ ص ٢٩٧ .

(٤) روح المعانى فى تفسير القرآن : ج ٤ ص ١٠٦ للألوسى وأحكام القرآن : ج ٢ ص ٤١ للجصاص .

الشورى على عهد الرسول ﷺ : تؤكد المصادر التاريخية بأن النبى ﷺ قد قبل مشورة بعض أصحابه دون البعض الآخر مثل ما حدث فى أسارى بدر حيث أنه أخذ بمشورة أبى بكر دون عمر بن الخطاب (١) وأحياناً أن النبى ﷺ قد انفرد برأيه كما يتضح من الوقائع التالية :

١- مشاورة النبى ﷺ مع المهاجرين والأنصار بشأن محاربة المشركين يوم أُحد والنزول عند رأيهم القاضى بالخروج من المدينة لملاقاتهم بدلا من البقاء فى المدينة رغم أن النبى ﷺ كان يميل إلى البقاء بالمدينة بسبب تفوق المشركين من حيث العدد والعدّة ولكن عندما ألح عليه الشبان من المسلمين الذين لم يحضروا بدراً على الخروج لملاقاة جيش الأعداء فإن النبى ﷺ قد وافق على رأيهم واستعد للخروج ولكنهم قد رجعوا عن رأيهم وعرضوا عليه أن يعود إلى رأيه الأول فقال النبى ﷺ ردًا عليهم : « لا ينبغى لنبى أن يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل » (٢) .

٢ - عرض النبى ﷺ موضوع صلح الحديبية على المسلمين لأخذ رأيهم فيه وقد اعترض عليه معظم أصحابه ولا سيما عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى توجه إليه قائلا : ألست رسول الله ؟ قال : بلى . قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى . قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال : فعلام نعطى الدنيّة فى ديننا ؟ قال الرسول ﷺ : أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعنى ؟ .

جدير بالإشارة هنا أن رفض سهيل بن عمرو كتابة فى عهد الصلح محمد رسول الله قد أثار غضب المسلمين ولكن الرسول ﷺ قد رأى بثاقب نظره ومن منظور إلهامى خاص بالموافقة على معاهدة الصلح التى أُبرمت بين المسلمين ومشركى مكة فى ذلك الوقت بالرغم مما صدر عنها من إجحاف دنيوى فى حق المسلمين على حد تصورهم .

٣ - إن النبى ﷺ لم يأخذ بوجهة نظر شيوخ المهاجرين والأنصار الذين

---

(١) تاريخ الطبرى : ج ٢ ص ٤٧٤ ، ٤٧٥ .

(٢) تاريخ الطبرى : ج ٢ ص ٦٠ .

راجعوه فى شأن تأميره أسامة بن زيد على رأس الجيش الموجه إلى قبائل قضاعة فى الشام ومحاربة الروم وطلبوا منه إبداله بآخر أكبر منه سنًّا فغضب غضبًا شديدًا وخاطبهم قائلاً : « إن كنتم تطعنون فى إمارته فقد كنتم تطعنون فى إمارة أبيه من قبل وأيم الله كان خليقًا للإمارة وأن ابنه من بعده لخليق للإمارة » (١) .

يتضح من الوقائع الموضحة بأن النبى ﷺ كان يقبل مشورة بعض أصحابه دون الآخرين وكما أنه كان ينفرد أحيانًا برأيه أن هذا يدل بأن الشورى ليست إلا التعرف على رأى الآخرين للاستفادة منها عند الضرورة ولكن الحاكم له حق الاختيار فى قبوله أو رفضه .

الشورى على عهد الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين : لو ألقينا نظرة على عهد الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين فنجد أن تطبيق الشورى فى عصرهم لا يختلف عن عصر الرسول ﷺ كما يتضح من الوقائع التالية : أن أبا بكر رضى الله عنه أبقى أسامة أميرًا على الجيش رغم اعتراض المعترضين فقال رضى الله عنه ردًّا عليهم : « والذى نفسى بيده لو ظننت أن السباع تختطفنى لأنفذت جيش أسامة كما أمر النبى ﷺ » (٢) .

خالف أبو بكر جمعًا من المسلمين بعدم محاربة العرب المرتدين بعد أن رفضوا بإعطاء الزكاة بعد وفاة النبى ﷺ ولكن أبا بكر رضى الله عنه وجه إليهم قائلاً : « والله لو منعونى عقالًا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها إن الزكاة حق المال والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة » (٣) .

إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان من أقرب المشيرين إلى قلب أبى بكر وأرجحهم رأيًا عنده وكذلك كان عثمان وعلىّ وطلحة والزبير وغيرهم موضع تقديره واحترامه ولا يقطع فى أمر برأى قبل مشورتهم ولكنه قد انفرد برأيه أحيانًا كما أسلفنا .

وكذلك فإن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد خالف رأى عامة المسلمين

---

(١) محمد مهدى شمس الدين : نظام الحكم والإدارة فى الإسلام . ١٥٨ .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ . ج ٢ ص ٣٣٤ .

(٣) تاريخ الطبرى : ج ٣ ص ٢٢٥ .

بشأن هدية امرأة هرقل ملك الروم ومنها عُقد فاخر إلى زوجته أم كلثوم بنت علىّ بن أبى طالب حيث أمر بأن تحوّل إلى بيت المال [(١)] .

وإن عثمان بن عفان رضى الله عنه لم يستجب لمشورة المهاجرين ومن بينهم علىّ ابن أبى طالب بقتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب الذى قتل جفينة والهرمزان وابنة أبى لؤلؤة الذى قتل أباه [(٢)] .

وإن عليًّا لم يصغ إلى مشورة أصحابه وأنصاره بإبقاء معاوية بن أبى سفيان ولو مؤقتًا على ولاية الشام حتى تستتب له الأمور ثم يعزله بل أثر على كل ذلك رأيه قائلًا : « والله لا أستعمل معاوية يومين » [(٣)] .

إن الوقائع الموضحة تشير بكل جلاء أن الشورى ليس معناها النزول لرأى أغلبية الناس كما نشاهده فى ديمقراطية الغرب بل أن الشورى فى المصطلح الإسلامى لها مدلول خاص وهو أن الأمر الأخير يرجع إلى تقدير الحاكم وأن له الحق أن يقبل مشورة الناس أو يرفضها حسب المصلحة العامة التى يراها ويتطلبها الموقف .

---

(١) تاريخ الطبرى : ج ٤ ص ٢٦٠ .

(٢) الطبقات لابن سعد القسم الأول : ص ٥٩ .

(٣) المسعودى : مروج الذهب . ج ٢ ص ٢٥٤ وابن الأثير : الكامل فى التاريخ . ج ٣ ص ١٩٧ .

انتهاج معاوية بن أبى سفيان منهج الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين فى تطبيق مبدأ الشورى فى فترة حكمه

بعد أن تحدثنا عن مفهوم الشورى فى الإسلام فمن الأفضل أن نرجع إلى موضوعنا وهو هل عدل معاوية رضى الله عنه عن تطبيق مبدأ الشورىٰ بعد أن استخلف ابنه يزيد على ولاية أمور المسلمين ؟

إذ وضعنا هذا الموضوع فى ميزان التاريخ بكل صدق وأمانة نجد أن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه لم ينحرف عنه قيد أنملة عن طريق منهج الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين فى تطبيق مبدأ الشورىٰ وإن مفهومها الذى كان متعارفاً لدى الخلفاء الأربعة نجد نفس المدلول عند معاوية وقد سار على نهجهم فى هذا الشأن .

يذكر الرواة بأن الصحابى الجليل المغيرة بن شعبة قد أشار على معاوية بأن الاستقرار فى الأمصار الإسلامية وأمنها يحتاج بأن يعين أو يرشح ابنه يزيد على ولاية أمور المسلمين بالإضافة إلى ذلك أنه كانت هناك عوامل أخرى دعت خليفة المسلمين فى أن يفكر فى استخلاف ابنه كما يلى بيانها بالإيجاز :

إن معاوية رضى الله عنه كان يدرك جيداً أن دماء المسلمين قد سالت كثيراً فى ثاقب وذكاء خارق فى أمور السياسة قد شهد به الأعداء قبل الأصدقاء وأن عصره كان معروفاً بالأمن والاستقرار وبالإضافة إلى ذلك باتساع رقعة الدولة الإسلامية عن طريق الفتوحات ، إن هذه الأمور كلها مسجلة على صفحات التاريخ ولا ينكرها إلا من كان عنده حقد أو ضغينة للإسلام والمسلمين .

إن معاوية رضى الله عنه كان يدرك جيداً أن دماء المسلمين قد سالت كثيراً فى الحروب التى دارت بينه وبين علىّ ثم بين أم المؤمنين عائشة وطلحة الزبير من ناحية وبين

علىّ من ناحية أخرى ، وأن الأمة الإسلامية دفعت ثمناً غالياً وقدمت ضحايا كثيرة وكذلك تردد الناس فيمن يخلف فى ولاية أمور المسلمين بعد وفاة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولولا أن عبد الرحمٰن بن عوف أخرج نفسه من المرشحين للخلافة لوقع الخلاف وحدث التصدع فى الجبهة الإسلامية .

وإن معاوية رضى الله كان علم بأن هناك أعداء للإسلام والمسلمين فى الداخل والخارج كانوا متربصين لاستغلال اضمحلال شوكة المسلمين حتى يحققوا أهدافهم ومن ثم نلاحظ أن معاوية قد قام بإرسال خطاب شديد اللهجة إلى ملك الروم عندما أدرك مطامعه فى الأمصار الإسلامية بسبب اشتغال المسلمين فى الحروب الداخلية فيما بينهم حيث يروى لنا ابن كثير : « فلما رأى ملك الروم اشتغال معاوية بحرب علىّ تدانى إلى بعض البلاد فى جنود عظيمة وطمع فيه فكتب معاوية إليه يا لعين اصطلحن أنا وابن عمى عليك ولأخرجنّك من بلادك ولأضيّقن عليك الأرض فعند ذلك خاف ملك الروم وانكف وبعث يطلب الهدنة » [1] .

إن مصلحة الإسلام والمسلمين قد دعت معاوية بأن يحسم أمر الخلافة فى حياته حتى لا يكون الخلاف أو الانشقاق بين المسلمين بعد وفاته والأمصار الإسلامية تكون لقمة سائغة لأعدائها ومن هنا وقع نظر معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه على ابنه يزيد أن يتولى أمور المسلمين بعد وفاته لأنه كان يتوسم فيه خيراً للأمة الإسلامية حيث أنه لاحظ حسن إدارة ابنه فى حصار القسطنطينية الذى استمر حوالى سبع سنوات ثم سقوطها على يديه .

جدير بالإشارة هنا أن المسلمين كانوا يفكرون فى فتح القسطنطينية منذ سقوط الشام على أيدى المسلمين ولكن الله قد كتب أن يتم فتح عاصمة النصارى على يد يزيد كما جاء فى « حاضر العالم الإسلامى » .

إن العرب منذ فتحوا الشام فكروا فى فتح القسطنطينية لأنها كانت لذلك العهد

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية . ج ٨ ص ١١٩ .

عاصمة النصارىٰ وكان الإسلام لو فتحها غلب على شمال أوروبا بلا نزاع [١] .

إن هناك روايات كثيرة تبشر بالجنة للشخص الذى يقوم بفتح القسطنطينية منها ما ورد فى البخارى : قال النبى ﷺ « أول جيش من أمتى يغزون مدينة قيصر مغفور لهم » [٢] .

يرى العلامة القسطلانى شارح البخارى بأن المقصود مما ورد فى الحديث عن قيصر وهى « قسطنطينية » ثم أضاف معلقاً على الحديث المشار إليه كان أول من غزا مدينة قيصر يزيد بن معاوية ومعه جماعة من الصحابة كابن عمر ، وابن عباس ، وابن الزبير ، وأبى أيوب الأنصارى رضى الله عنهم .

يرى الإمام ابن حجر بأن الحديث الموضح يعدّ من مناقب معاوية وابنه يزيد ثم نقل قول « المهلب » مؤيداً لرأيه : « قال المهلب فى هذا الحديث منقبة لمعاوية لأنه أول من غزا البحر ومنقبة لولده لأنه أول من غزا مدينة قيصر » [٣] .

وجاء حديث آخر فى صحيح البخارى : « أول جيش من أمتى يغزون البحر فقد أوجبوا » [٤] .

ويقول العلامة ابن حجر العسقلانى فى شرح كلمة : « أوجبوا » « أى وجبت لهم به الجنة » [٥] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية معلّقاً على حديث غزو قسطنطينية أول جيش غزاها أى « قسطنطينية » كان أميرهم يزيد والجيش عدد معين لا مطلق وشمول المغفرة لآحاد هذا الجيش أقوىٰ ويقال إن يزيد إنما غزا القسطنطينية لأجل هذا الحديث » [٦] .

---

(١) حاضر العالم الإسلامى تاليف : للوثروب شودارد : تعليق الأمير شكيب أرسلان . ص ٢١٤ .

(٢) صحيح البخارى : ج ١ ص ٤١٠ .

(٣) ابن حجر : فتح البارى . ج ١ ص ٤٠ .

(٤) صحيح البخارى : ج ١ ص ٤١٠ .

(٥) فتح البارى .

(٦) ابن تيمية : منهاج السنة . ج ٢ ص ٢٥٢ .

جدير بالذكر أن الحسين بن عليّ كان من ضمن جنود الفتح الذين قد غزوا القسطنطينية تحت قيادة يزيد بن معاوية كما يروى المؤرخ ابن كثير : كان الحسين يفد إلى معاوية فى كل عام فيعطيه ويكرمه وكان فى الجيش الذين غزوا القسطنطينية مع ابن معاوية يزيد » [(١)] .

إن يزيد بن معاوية كان أميراً للحج ثلاث مرات كما يذكر ابن كثير : « حج بالناس يزيد بن معاوية فى سنة إحدى وخمسين ، وثنتين وخمسين ، وثلاث وخمسين » [(٢)] .

إن هذا المنصب الجليل كان لا يتقلده إلا من كان له سمعة طيبة فى الدين والعلم كما كان معروفاً من أيام النبى ﷺ إلى عصر الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين .

جدير بالذكر أن أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه لم ينفرد برأيه فى ترشيح ابنه يزيد لولاية أمور المسلمين بل شارك فيه أزواج النبى ﷺ ومعظم أصحابه ﷺ الذين كانوا على قيد الحياة فى ذلك الوقت حيث لم نلاحظ أى صوت معارض من قبلهم على الإطلاق بل أن الصحابى الجليل عبد الله بن عباس قد نصح أصحابه لمبايعة يزيد فوراً عندما وصل إليه نبأ وفاة معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه كما يحكى لنا المؤرخ البلازرى : « قال عامر بن مسعود الجمعى : « وأنا بمكة إذ مر بنا بريد ينعى معاوية فنهضنا إلى ابن عباس وهو بمكة وعنده جماعة وقد وضعت المائدة ولم يؤت بالطعام فقلنا له يا ابن عباس جاء البريد بموت معاوية رضى الله عنه فوجم طويلاً ثم قال : اللهم أوسع لمعاوية ، أما والله ما كان مثل من قبله ولا يأتى بعده مثله وإن ابنه يزيد لمن صالحى أهله فالزموا مجالسكم واعطوا طاعتكم وبيعتكم » [(٣)] .

إن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه كان بعيداً عن عاطفته الأبويه عندما قام بترشيح ابنه لولاية أمور المسلمين بل كان يرى أن ابنه جديرٌ وأهلٌ لهذا المنصب الجليل

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية . ج ٨ ص ٥١ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية . ج ٨ ص ٢٢٩ .

(٣) البلازرى : أنساب الأشراف . ص ٣ .

كما يتضح من كلامه عندما اعترض عليه سعيد بن عثمان على ترشيحه فرد قائلاً : « اللهم إن كنت تعلم أنى ولّيته لأنه فيما أراه أهل لذلك فأتمم له ما ولّيته وإن كنتُ ولّيته لأنى أحبه فلا تتمم له ما ولّيته » [١] .

وفى رواية أخرى : « اللهم إن كنتُ عهدت ليزيد لما رأيتُ من فضله فبلّغه ما أملت وأعِنْهُ وإن كنتُ إنما حملنى حب الوالد لولده وإنه ليس لما صنعت به أهلاً فاقبضه قبل أن يبلغ ذلك » [٢] .

إن الرواية الموضحة تشير بكل جلاء أن معاوية كان مخلصاً فى عمله وإنه كان يحب الخير للإسلام وأهله وراء قيام ترشيح ابنه لولاية أمور المسلمين وأن الدعاء الذى دعا به معاوية فى حق ابنه صورة صادقة ما كان يخلج فى نفس أمير المؤمنين تجاه مصلحة المسلمين .

وأما بالنسبة للرواية التى رواها ابن الأثير بأن معاوية قد اتخذ أسلوب التهديد والتخويف فى سبيل أخذ البيعة من بعض أصحاب النبى ﷺ وبالتحديد مع الحسين ابن علىّ ، وعبد الرحمٰن بن أبى بكر ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وذلك عندما قدم إلى الحجاز لتأدية العمرة فإنها عارية عن الصحة تماماً ، وقبل أن نعلق عليها من الأفضل أن نوردها بالإيجاز وخلاصتها أن معاوية سار إلى الحجاز فلما دنا من المدينة لقيه الحسين بن علىّ أول الناس فى الطريق فخاطبه معاوية بعنف مهدداً متوعداً ثم لقيه ابن الزبير فجابهه أيضًا بعبارات أشد عنفاً وأكثر تهديداً ثم لقيه عبد الرحمٰن بن أبى بكر فوجه إليه سباباً ثم فعل كذلك بعبد الله بن عمر كل هذا وهو راكب على راحلته فى طريقه حتى دخل المدينة فحضروا بابه فلم يؤذن لهم فخرجوا إلى مكة فأقاموا بها ثم انتقل معاوية إلى مكة – كما تمضى الرواية – فكان أول من لقيه الحسين أيضاً فهنا غيّر معاوية لهجته وخاطبه بعبارات لطيفة ثم لقيه الباقون فقابلهم بمثل ذلك ثم تذكر الرواية حديثاً جرى بينه وبين ابن الزبير الذى أنابه عنهم الآخرون فلما انتهى الحديث واجههم معاوية

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية . ج ٨ ص ٨٠ .

(٢) الذهبى : تاريخ الإسلام . ج ٢ ص ٢٦٧ – السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٥٩ .

فأنذرهم قائلاً : « إنى قائم بمقالة فأقسم بالله لئن رد علىّ أحدكم كلمة فى مقامى هذا لا ترجع إليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف إلى رأسه فلا يبقين رجل إلا على نفسه » ثم – كما تزعم الرواية – دعا معاوية صاحب حرسه فقال : « أقم على رأس كل رجل من هؤلاء رجلين ومع كل واحد سيف فإن ذهب رجل منهم يرد على كلمة بتصديق أو تكذيب فليضرباه بسيفهما » ثم خرج وخرجوا معه حتى رقى المنبر فقال : « إن هؤلاء الرهط سادة المسلمين وقد رضوا وبايعوا ليزيد فبايعوا على اسم الله » فبايع الناس – أى أعلن هذا كذباً – كما تذهب الرواية – فلما سألهم الناس قالوا : والله ما فعلنا فقالوا : وما منعكم أن تردوا على الرجل ؟ قالوا : خفنا القتل ثم رجع الخليفة إلى المدينة فبايعه أهلها ثم انصرف إلى الشام [1] .

الواقع أن الرواية المشار إليها عارية عن الصحة تماماً حيث لم نلاحظها فى الطبرى وهو مرجع أوثق من ابن الأثير وأسبق منه فى الزمن إذ أن ابن الأثير متأخر عن الطبرى بثلاثة قرون – هذه الرواية يبدو عليها الإختراع والتلفيق – فهل كان هؤلاء النفر واقفين مترصدين للخليفة على التوالى فى الطريق ؟

وهل يتفق مع طبيعة معاوية وهو من نعلم فى رجاحة العقل والحلم أى يخاطب سادة القوم وهم كبار أبناء الصحابة وزعماء قريش بهذه العبارات النابية والسباب ؟

وأكبر دليل على عدم صحة هذه الرواية أن المؤرخ اليعقوبى رغم تشيعه لم يذكر فى تاريخه القصة المشار إليها بل صرح بكل وضوح بأن معاوية لم يكره أحداً على مبايعة ابنه يزيد إذ يقول : « وحج معاوية تلك السنة فتآلف القوم ولم يكرههم على البيعة » [2] .

ولو افترضنا أن معاوية قد أنشأ نظام الوراثة فى الحكم فهل أليست مطالبة أهل البيت للحكم على مبدأ الوراثة ؟ كما تبين من قول علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بأن أهل البيت بمثابة الثمرة وأن قريشاً مثل الشجرة والثمرة خير ما فى الشجرة [3] .

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ . ج ٣ ص ٢١٦ ، ٢١٧ .

(٢) تاريخ اليعقوبى : ج ٢ ص ٢٢٩ .

(٣) دكتور /أحمد أمين : فجر الإسلام . ص ٢٦١ .

وكما إذا صح ما رواه العينى من أن عليًّا قد عهد لابنه [١] . أليس هذا يدل على أن بنى هاشم هم الذين بدأوا بخلق فكرة التوارث فى الحكم الإسلامى ؟ إذا كان الإمام ليس له الحق فى أن يرشح من يتولى الأمر بعده فهذا يعتبر خروج سافر على الروح الإسلامية كما ذهب إلى ذلك بعض الطاعنين فكيف اشترط الحسن بن علىّ فى صلحه مع معاوية أن يكون ولى الأمر من بعده [٢] .

وكذلك أليس يتضح من قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه بأن من حق الإمام أن يعهد إلى من يأتى بعده أو أن ينص عليه كما حدث بالنسبة له عندما دخل عليه نفر من الصحابة فقالوا له : « يا أمير المؤمنين لو استخلفت قال : أن أستخلف فقد أستخلف من هو خير منى يعنى أبا بكر فى عهده لعمر بالخلافة وأن أتركك فقد ترك من هو خير منى يعنى رسول الله ﷺ » [٣] .

وهل هناك نص من القرآن والسنة يمنع الأب من ترشيح ابنه للولاية ؟

---

(١) عقد الحجان : ج ١ ص ١١٢ .

(٢) عقد الجمان : ج ١٠ ص ١١٢

(٣) مقدمة ابن خلدون : ص ٥٥١ هامش : ٦٥٤ .

موقف أصحاب النبى ﷺ بخصوص مبايعة يزيد

إن التاريخ يروى بأن الصحابى الجليل المغيرة بن شعبة الثقفى قد قدم اقتراحاً على أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه على أن يرشح ابنه يزيد لولاية أمور المسلمين بعد وفاته عندما أدرك بأن أصحاب النبى ﷺ كانوا على علم بحسن إدارة يزيد وبسالته بعد محاصرته القسطنطينية التى استمرت حوالى سبع سنوات وأن قيادته العسكرية والإدارية قد دفعت الناس أن يطلقوا عليه بفتى العرب وفى نفس الوقت أن أصحاب النبى ﷺ كانوا يدركون جيداً خطورة السبئيين ومخططاتهم ضد الإسلام والمسلمين وقد أصبح لديهم اقتناع واضح بأن السبئيين كان لهم دور فى إشعال حروب بين أم المؤمنين عائشة وعلىّ بن أبى طالب ثم بين معاوية بن أبى سفيان وعلىّ بن أبى طالب التى دفعت الأمة الإسلامية ثمناً غالياً من أجلها وقدمت ضحايا عديدة وأحدثت هذه الحروب تصدُّعاً فى كيان المسلمين ومن ثم كان اقتراح المغيرة بن شعبة موضع الترحيب عند أصحاب النبى ﷺ وبايعه الناس فى سائر الأقاليم كما يروى المؤرخ ابن كثير (١) .

وكما أن عبد الله بن عباس رضى الله قد دعا أصحابه بمبايعة يزيد عندما بلغ إليه موت معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه كما يحكى البلازرى (٢) .

وإن لعبد الله بن عمر رضى الله عنه موقفاً معروفاً فى هذا الشأن حيث أنه هدد بقطع العلاقة لكل من خرج عن طاعة يزيد كما جاء فى صحيح البخارى – عن نافع – قال : لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه وولده فقال سمعتُ النبى ﷺ يقول : « يُنصب لكل غادر لواء يوم القيامة » وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله وإنى لا أعلم غدراً أعظم من أن يبايع رجلاً على بيع الله ورسوله ثم ينصب

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية . ج ٨ ص ٧٩ .

(٢) البلازرى : أنساب الأشراف . ص ٣ ، ٤ وراجع أيضاً الإمامة السياسية لابن قتيبة .

له القتال وإنى لا أعلم أحداً منكم خلعه ولاتابع فى هذا الأمر إلا كانت الفصل بينى وبينه (١) .

إن مبايعة أصحاب النبى ﷺ ليزيد كانت بعيدة كل البعد عن المداهنة والتلاعب بالحق كما يذهب إليه بعض الطاعنين حيث أن أعمالهم الجليلة وتضحياتهم العظيمة فى سبل الحق المدونة على صفحات التاريخ تكفى تفنيد هذا الافتراء .

وإن القرآن الكريم قد وصفهم بالبسالة والشجاعة فى سبيل الحق إذ جاء فى شأنهم موضحاً صلابة موقفهم أمام الباطل : ﴿ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٩] .

وجاء فى آية أخرى : ﴿ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ [سورة المائدة : ٥٤] .

إن مواقف أصحاب النبى ﷺ البطولية جلية أمام الباطل والطغيان لكل من له إلمام بالتاريخ .

الواقع أن مبايعة أصحاب النبى ﷺ ليزيد ترجع إلى عوامل عديدة ومن أهمها خطر السبئيين على المسلمين نظراً لأن السبئيين كانوا يخططون لإشعال الحروب والفتن بين المسلمين حتى تضعف شوكتهم تمهيداً لتحقيق أهدافهم .

أما بالنسبة لمعارضة عبد الله بن الزبير والحسين بن علىّ رضى الله عنهما لمبايعة يزيد فإنها ترجع إلى بعض الأسباب التى دفعت كُلًّا منهما إلى أن يتخذا موقفاً مغايراً ليزيد .

إن موقف عبد الله بن الزبير رضى الله عنه تجاه مبايعة يزيد خال عن الدعائم القوية بل إن معارضته كانت قائمة على أساس مطامعه فى الخلافة ومن ثم فقد أشار على الحسين بن علىّ على الذهاب إلى الكوفة حتى يخلو له الجو حيث أنه كان يدرك أن أهل

---

(١) صحيح البخارى : ج ٢ ص ١٠٥٣ .

الحجاز لا يبايعونه ولا يتابعونه أبداً ما دام الحسين بينهم فإن الحسين أعظم فى أعينهم وأنفسهم منه وأطوع فى الناس (١) .

ولذلك جاء ابن الزبير إلى الحسين فحدثه ساعة وقال له : ما أدرى ما تركنا هؤلاء القوم « بنى أُمية » وكفّنا عنهم ونحن أبناء المهاجرين ولأن هذا الأمر دونهم خبرنى ما تريد أن تصنع ؟ فقال الحسين : والله لقد حدثتُ نفسى بإيتان الكوفة ولقد كتب إلى شيعتى بها وأشراف أهلها ، فقال ابن الزبير : أما لو كان لى بها مثل شيعتك ما عدلت بها وكان الحسين يدرك أن ابن الزبير يخدعه ويدفعه للخروج ليخلو له الجو ولذلك قال الحسين بعد أن خرج ابن الزبير : إن هذا ليس شىء يؤتاه من الدنيا أحب إليه من أن أخرج من الحجاز إلى العراق (٢) .

وإن معارضة الحسين بن علىّ رضى الله عنه لمبايعة يزيد فإنها كانت تقوم على مبدأ الوراثة حيث أنه كان متمسكاً برأى أبيه فى هذا الشأن كما يتضح من قول علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بعد مبايعة أبى بكر رضى الله عنه بأن أهل البيت بمثابة الثمرة وإن قريشاً مثل الشجرة ، والثمرة خير ما فى الشجرة (٣) .

وإن الرواية التالية التى أوردها ابن هشام تثبت أيضاً أن عليًّا كان يعتقد مبدأ الوراثة فى الحكم : « خرج يومئذ علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه على الناس من عند رسول الله ﷺ فقال له الناس : يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله ﷺ ؟ قال : أصبح بارئاً قال : فأخذ العباس بيده ثم قال : يا علىّ أنت والله (عبد العصا) بعد ثلاث أحلف بالله لقد عرفت الموت فى وجه رسول الله ﷺ كما كنتُ أعرفه فى وجوه بنى عبد المطلب فانطلق بنا إلى رسول الله ﷺ فإن كان هذا الأمر فينا عرفناه والله لئن منعناه لا يؤتيناه أحد بعده » (٤) .

---

(١) تاريخ الطبرى : ج ٤ ص ٢٦١ .

(٢) نفس المصدر : ص ٢٨٨ .

(٣) دكتور /أحمد أمين : فجر الإسلام . ص ٢٦٦ .

(٤) ابن هشام : سيرة النبى ﷺ . ج ٤ ص ٣٣٢ ، ٣٣٤ .

أليست هذه الرواية توضح مبدأ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ونظرته الوراثية فى الحكم ؟ وإن الحسين كان متمسكا بنظرية أبيه ولم يخل عنها حتى انتقل إلى رحمة الله تعالى ومن منطلق هذا المبدأ فقد عارض الصلح الذى تم بين أخيه ومعاوية ولكن الحسن أنذره وهدده بوضعه فى الحديد إذا لم يطع أمره كما يروى الدكتور طه حسين بأن الحسين بن علىّ لم يكن يرى رأى أخيه ولا يقر ميله إلى السلم وأنه ألحّ على أخيه فى أن يستمسك ويمضى فى الحرب ولكن أخاه امتنع وأنذره بوضعه فى الحديد إن لم يطعه [١] .

ويروى الطبرى بأنه قد دار نقاشاً بين الحسن والحسين بخصوص الصلح مع معاوية ولكن الحسن قد وبّخه قائلاً : « اسكت فأنا أعلم بالأمر منك » [٢] .

ومن هنا قد يتضح موقف الحسين ضد الدولة الأموية وبالتحديد عن عدم ارتياحه بمبايعة معاوية يروى الرواة بأن الحسين قد أرسل خطاباً إلى سليمان بن صرد الذى كان يثيره للخروج على معاوية فقال ردًّا عليه : « ليكن كل رجل منكم جلساً من أجلاس بيته ما دام معاوية حيًّا فإنها بيعة كنتُ والله لها كارهاً فإن هلك معاوية نظرنا ونظرتم ورأينا ورأيتم » [٣] .

وإن هناك بعض الأعمال التى يذكرها التاريخ والتى قام بها الحسين بن علىّ فى أيام حكم معاوية تستحق أن نقف عندها مليًّا كيف أن الحسين قد أوقف القافلة القادمة من اليمن فى طريقها إلى الشام ومصادرة ما تحمله من متاع والقيام بتوزيعه بين أهله ورجاله كما يروى ابن أبى الحديد : « كان مالا حمل من اليمن إلى معاوية فلما مرّ بالمدينة وثب عليه الحسين بن علىّ فأخذه وقسّمه فى أهل بيته ومواليه وكتب إلى معاوية » [٤] .

ونحن بدورنا لا نجزم بوقوع هذا – وإن كان قد حصل فعلا – كما يروى ابن أبى الحديد ولكن الرد الفعل الذى قد ترتب على هذا العمل من قِبَل خليفة المسلمين كان

---

(١) دكتور /طه حسين : على وبنوه . ص ٢٠٣ .

(٢) تاريخ الطبرى : ج ٦ ص ٦٢ .

(٣) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة . ص ١٧٣ ومقتل أبى مخنف : ص ٤ .

(٤) شرح نهج البلاغة : ابن أبى الحديد . ج ٢ ص ٢٨١ .

بعيداً تماماً عن الغضب والاستياء بل عالجه بأسلوب لبق تقديراً لمكانة الحسين فى قلب معاوية إذ كتب إليه خطاباً بأسلوب ممتاز مبيناً فيه احترامه وتقديره الذى يكنّه له وفى نفس الوقت نصحه بالعدول عن مثل هذا التصرف حتى لا يقع فى المأزق بعد وفاته حيث يقول : « لأن الوالى أحق بالمال ثم عليه المخرج منه وأيم الله لو تركت ذلك حتى صار إلىّ لم أبخسك حظك منه ولكن قد ظننتُ يا ابن أخى أن فى رأسك نزوة وبودى أن يكون ذلك فى زمانى فأعرف لك قدرك وأتجاوز عن ذلك ولكن والله أتخوف أن تبتلى بمن لا ينظرك »(١) .

وكذلك أن معاوية طلب من الحسين أن يبتعد عن الأعمال التى فيها مضرة للدولة وأن يسعى للحفاظ على وحدة الأمة الإسلامية دون تمزقها (٢) .

الواقع أن الحسين بن علىّ رضى الله عنه كان له موقف خاص تجاه الدولة الأُموية من أول الأمر الذى كان يختلف عن موقف أخيه الحسن كليًّا الذى كان يكره الحرب والفرقة وسفك الدماء وكان يحب السلم واجتماع الكلمة وقد أشار على أبيه وأخيه بترك القتال كما يروى شيخ الإسلام ابن تيمية : « وكذلك الحسن دائماً كان يشير على أبيه وأخيه بترك القتال ولما صار إليه الأمر ترك القتال وأصلح الله بين الطائفتين المقتتلين وعلىّ فى آخر الأمر تبين له أن المصلحة فى ترك القتال أعظم منها فى فعله » (٣) .

إن هناك أحاديث كثيرة وردت فى شأن الحسن والحسين رضى الله عنهما ولكن مع فرق ملحوظ حيث أن الروايات التى جاءت بخصوص الحسين فإنها تقتصر على الحب الذى يبدى الجد نحو حفيده مثل قول النبى ﷺ : « هذان ابناى وابنا ابنتى اللهم إنى أحبهما فأحببهما » (٤) .

وأما الروايات التى وردت فى شأن الحسن فإنها لم تشر إلى الحب والحنان فحسب

---

(١) شرح : ابن أبى الحديد . ج ٢ ص ٩٨٢ .

(٢) راجع أنساب الأشراف للبلازرى .

(٣) ابن تيمية : منهاج السنة . ج ٢ ص ٢٤٣ .

(٤) سنن الترمذى .

الذى كان يكنّ له النبى ﷺ بل تشير إلى حدث تاريخى كبير أيضاً حيث يروى الثقات من أصحاب النبى ﷺ بأن النبى ﷺ أخذ الحسن وهو صبى فأجلسه إلى جنبه على المنبر وجعل ينظر إليه مرة وينظر إلى الناس مرة أخرى ثم قال : « إن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » (١) .

وقد تحقق تنبؤ النبى ﷺ فعلاً عندما تنازل الحسن فى حق معاوية وعقد الصلح معه وأنقذ المسلمين من هلاكهم المحقق .

إن معاوية كان يدرك نوايا الحسين جيداً نحو نظام حكمه ولذلك فقد أوصى ابنه يزيد قبل وفاته بحُسن معاملة الحسين فقال : « وأما الحسين فإنه رجل خفيف ولن يتركه أهل العراق حتى يخرجوه فإن خرج وظفرت به فاصفح عنه فإن له رحماً ماسة وحقًّا عظيماً وقرابة من محمد ﷺ (٢) .

هناك سؤال إذا عارض الحسين بن علىّ مبايعة يزيد على أساس أنه كان ليس كفؤاً لمنصب القيادة كما يقال فمعارضته لمعاوية بن أبى سفيان كانت على أى أساس ؟ إذ أنه كان من أحد كتّاب وحى النبى ﷺ .

الواقع أن معارضة الحسين لمبايعة يزيد ترجع أساساً إلى إيمانه العميق بمبدأ الوراثة فى الحكم فقط .

---

(١) صحيح البخارى .

(٢) ابن الأثير : الكامل . ج ٣ ص ٢٦٤ .

الخروج على الإمام فى نظر الإسلام

إن الإسلام دين السلام والإنسانية يدعو إلى الحب والمودة والوحدة ويؤثر اجتماع الكلمة ويكره الفرقة وسفك الدماء لأن الشر يدعو إلى الشر والدماء تدعو إلى الدماء ومنطق السلاح يملأ القلوب حقداً وضغينة .

إن النصح والإرشاد أفضل وسيلة لإصلاح الناس كما جاء فى القرآن الكريم : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [سورة النحل : ١٢٥] .

إن السلف الصالح قد ساروا فى العلاقات فيما بينهم ومع الآخرين سيرة القرآن وسيرة الرسول ﷺ ولنأخذ عمر بن الخطاب رضى الله عنه نموذجاً للسلف الصالح ففى عهده اتسع العالم الإسلامى وضم آلافاً من المسلمين وفيما يلى سطور عنه تبين جانباً من أدب الإسلام وروحه تحقق النصر لجيوش المسلمين التى تحارب فى إيليا : (بيت المقدس) ولكن عمر كان حريصاً على السلم أكثر من حرصه على النصر ولذلك نجده يرحل بنفسه إلى هذه المدينة ويكتب بينه وبين المسلمين بها عهداً جاء فيه .

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان : « أعطاهم أماناً لأنفسهم وكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبريئها وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا يُنتقص منها ولا من خيرها ولا من صليبهم ولا شيء من أموالهم ولا يُكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم » (١) .

ومن الناحية العملية نجد أن عمر وفَّى بما وعد بل زاد عليه عطفاً وتسامحاً وحسن معاملة فبينما هو فى كنيسة القيامة إذ دخل وقت الصلاة فخرج عمر وصلى خارجها وقال للبطريك : « لو صليتُ داخل الكنيسة خفتُ أن يقول من بعدى : هذا مصلَّى عمر وأن يحاولوا أن يقيموا فى هذا المكان مسجداً » (٢) .

---

(١) البلازرى : فتوح البلدان . ص ١٣٥ .

(٢) نفس المصدر .

وإن عثمان بن عفان رضى الله عنه كان فى قمة السلطة ويستطيع الدفاع عن نفسه عندما حُوصر من قِبَلِ الثوار الذين كانوا يريدون قتله وكان يدرك جيداً أنه مقتول لا محالة فماذا كان تصرفه ؟

يروى الطبرى : « أن الثوار حينما أحاطوا بمنزله قالوا له : لسنا منصرفين حتى نخلصك أو نقتلك أو تلحق أرواحنا بالله تعالىٰ وإن منعك أصحابك وأهلك قاتلناهم حتى نخلص إليك فقال : أما أن أبرأ من خلافة الله فالقتل أحب إلىّ من ذلك وأما قولكم تقاتلون من معى فإنى لا آمر أحداً بقتالكم فمن قاتلكم فبغير أمرى قاتل » (١) .

وأيضاً تتفق الروايات التاريخية على أنه : لما أدرك أن الثوار مصرون على قتله لزم الدار وأمر أهل المدينة بالرجوع وأقسم عليهم فرجعوا إلا الحسين بن علىّ وابن عباس ومحمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير (٢) .

ويروى ابن الأثير : أن الثوار لما قرروا قتل عثمان وقصدوا الباب يقتحموه منعهم الحسين بن علىّ وابن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص ومن معهم من أبناء الصحابة واجتلدوا – فزجرهم عثمان وقال : أنتم فى حل من نصرتى – فأبوا ففتح الباب للثوار وخرج إليهم فلما رآه المصريون رجعوا فركبهم هؤلاء – المدافعون عنه – وأقسم عثمان على أصحابه ليدخلن فدخلوا فأغلق الباب دون المصريين (٣) .

إن تصرف عثمان ليس خال من الغرابة فكيف أن الموت يقف على بابه وهو يتعجله ولا يفر منه ؟ وهناك جمع من الناس يدافع عنه وهو يرفض هذا الدفاع بالانصراف إلى منازلهم .

الواقع أن تصرف عثمان كان موافقاً للروح الإسلامى ووفقاً لما جاء فى القرآن الكريم : ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ﴾ [سورة المائدة : ٢٨] .

---

(١) تاريخ الطبرى : ج ٤ ص ٣٧١ ، ٢٧٢ وابن الأثير : الكامل . ج ٣ ص ٨٥ ، ٨٦ .

(٢) ابن الأثير : الكامل . ج ٣ ص ٨٦ ، ٨٧ .

(٣) المرجع السابق : ج ٣ ص ٨٨ .

وإن الحسن بن عليّ كان فى وضع بالغ التعقيد أشد وأكثر من وضع أخيه الحسين حيث أنه بويع من قِبَل جماعة من الناس - ألحُّوا عليه - لشن الحرب ضد معاوية .

يروى الرواة : « بأن عبد الله بن عباس كتب إليه خطاباً يحرّضه على الحرب ويلح عليه فى أن ينهض فيما كان ينهض فيه أبوه » (١) .

ولكن الحسن آثر السلم على الحرب واجتماع الكلمة على الفرقة وتنازل عن الحكم فى حق معاوية حتى أُطلق عليه من قِبَل بعض أعوانه مُذل المؤمنين (٢) وعار المؤمنين وذلك عندما فقدوا الأمل لتحقيق ما كانوا يرجون منه إن هذا العمل العظيم الذى قام به الحسن قد أنقذ الآلاف من نفوس المسلمين من هلاكهم المؤكد وإن قيام صلحه مع معاوية ليس من باب المصادفة بل كان ينبع من جوهر التعليمات الإسلامية معتمداً على الأحاديث النبوية حيث يروى أبو داود قول النبى ﷺ : « ويل للعرب من شر قد اقترب أفلح من كف يده » (٣) .

وجاء حديث آخر فى صحيح مسلم : « يكون بعدى أئمة لا يهتدون بهُداى ولا يستنّون بسنّتى وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين فى جثمان إنس : قال حذيفة قلتُ : كيف أصنع يا رسول الله إن أدركتُ ذلك قال تسمع وتطيع الأمير وإن ضُرب ظهرك وأُخذ مالك فاسمع وأطع » (٤) .

إن الخروج على النظام القائم فى الدولة أمر غير مرغوب فى نظر الإسلام حيث أنه أخطر وأشد من المعصية الفردية - وإن النبى ﷺ كان يدرك خطورته ولذلك أنذر أمته من التفرق وحثهم على وجوب الطاعة لولى الأمر حفاظاً على الوحدة الإسلامية كما يتضح من الأحاديث التالية :

---

(١) دكتور /طه حسين : على بنوه . ص ١٧٨ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية . ج ٨ ص ١٩ .

(٣) سنن أبو داود .

(٤) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم من حديث حذيفة رضى الله عنه : انظر كتاب الإمارة . باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن (٦ : ٢٠) .

(١) قال رسول الله ﷺ : « اسمعوا وأطيعوا وإن تأمّر عليكم عبدٌ » [١] .

(٢) قال رسول الله ﷺ : « من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية » [٢] .

(٣) قال رسول الله ﷺ : « من أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهو جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان » [٣] .

(٤) قال رسول الله ﷺ : « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » [٤] .

(٥) قال رسول الله ﷺ : « إن أُمِّر عليكم عبدٌ مجدع أسود يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا » [٥] .

إن الروايات سالفة الذكر تؤكد وجوب طاعة الأمير وإن الخروج عليه مخالف لأصل الروح الإسلامى ومن ثم فإن علماء أهل السنة والجماعة لا يبيحون الخروج على الإمام ما دام أنه يقوم بتنفيذ شريعة الله حيث أن الخروج لا يجلب إلا الفتنة والفساد كما

---

(١) أخرجه البخارى : فى كتاب الأحكام . باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن فى معصية . (٨ : ١٠٥) وابن ماجه برقم /٢٨٩٠ وأحمد فى المسند . (٦ : ٤٠٣) واللفظ له .

(٢) متفق عليه : أخرجه البخارى فى الفتن . باب قول النبى : « سترون بعدى أموراً تنكرونها » . (٨ : ٨٧) . ومسلم فى الإمارة : باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن . (٦ : ٢١) .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم فى الإمارة . باب حكم من فرّق أمر المسلمين وهو مجتمع . (٦ : ٢٢) وأول الحديث : « إنه ستكون هنّات وهنّات فمن أراد أن يفرق » . الحديث : وأخرجه أبو داود فى السنة برقم ٤٧٦٢/وأحمد فى المسند (٤ /٣٤١) .

(٤) متفق عليه : أخرجه البخارى فى الأحكام باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية . (٨ : ١٠٥) ومسلم فى الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية . (٦ : ١٥) .

(٥) صحيح : أخرجه مسلم فى الإمارة . باب وجوب طاعة الأمر فى غير معصية (٦ : ١٥) وابن ماجه فى الجهاد : باب فى طاعة الإمام برقم /٢٨٩١ .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « كان المشهور من مذهب أهل السنة إنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف وإن كان فيهم كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبى ﷺ لأن الفساد فى القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون القتال »[(١)] .

(١) ابن تيمية : منهاج السنة . ج ٣ ص ٨٧ .

موقف أصحاب النبى ﷺ بشأن خروج الحسين بن علىّ رضى الله عنه على يزيد

يروى التاريخ أن هناك بعض الحركات قد ظهرت فى عالمنا الإسلامى باسم الإسلام ولكن فى واقع الأمر أنها كانت منافية لعقائده وتعليماته على الإطلاق بل إنها وضعت على الغدر والخيانة والحقد الدفين ومن بينها : « الحركة السبئية التى لها دور خطير على مر التاريخ إن هذه الحركة التى أشعلت نار الفتنة فى عهد عثمان رضى الله عنه حتى انتهت الكارثة بمحاصرته فى داره ثم استشهاده رضى الله عنه . إن هذه الحركة التى زرعت بذرة الفتن بين المسلمين وأدّت إلى نشوب الحرب بين أم المؤمنين عائشة من ناحية وعلىّ بن أبى طالب من ناحية أخرى والتى دفعت الأمة الإسلامية ثمناً غالياً وقدمت ضحايا عديدة وإن هذه الحركة التى كانت وراء نقل دار الخلافة الإسلامية من مدينة الرسول ﷺ إلى العراق فى أيام علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وإنها هى التى قد أذكت روح التحرر فى الخوارج حتى انتهت الفتنة بمقتل علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه .

إن المصادر الموثوقة تؤكد بأن السبئيين كانوا وراء خروج الحسين بن علىّ على يزيد يروى الرواة بأن السبئيين كانوا يفدون على الحسين بن علىّ فى أيام أخيه الحسن مُلحّين عليه للخروج على النظام القائم فى الدولة ولكن شخصية الحسن كانت عقبة كبرى فى تحقيق ما كانوا يرجون من الحسين ولكنهم قد حصلوا على فرصة سانحة بعد وفاة الحسن .

إن أصحاب النبى ﷺ كانوا يدركون جيداً الحركة السبئية وأهدافها الهدامة وكانت لديهم تعليمات صريحة من النبى ﷺ تنص بإطاعة الأمير وعدم الخروج عليه حفاظاً على الوحدة الإسلامية ولذلك فإنهم كانوا بعيدين تماماً عن حركة الخروج على يزيد كما يقول صاحب إتمام الوفاء فى سيرة الخلفاء « وقد كان فى ذلك العصر كثير من

الصحابة بالحجاز والشام والبصرة والكوفة ومصر كلهم لم يخرجوا على يزيد » [١]

ولكن فى نفس الوقت لم يتخلوا عن تقديمهم النصيحة إلى الحسين لكى يعدل عن الخروج على يزيد حيث قال الصحابى الجليل عبد الله بن عمر مخاطباً عبد الله بن الزبير والحسين بن علىّ ناصحاً لهما بعدم تفرق جماعة المسلمين إذ يقول : « اتقيا الله ولا تفرّقا جماعة المسلمين » [٢] .

يروى المؤرخ ابن كثير أقوال بعض أصحاب النبى ﷺ الذين قاموا بتقديم المشورة إلى الحسين بن علىّ وطلبوا منه عدم الخروج على يزيد كما يتضح من الروايات التالية :

(١) يقول الصحابى أبو سعيد الخدرى مخاطباً الحسين : « اتق الله فى نفسك والزم بيتك ولا تخرج على إمامك » [٣] .

(٢) يقول جابر بن عبد الله رضى الله عنه ناصحاً الحسين : « اتق الله ولا تضرب الناس بعضهم ببعض » [٤] .

(٣) قال أبو الليثى : بلغنى خروج الحسين بن علىّ فأدركته بملل فناشدته الله أن لا يخرج فإنه يخرج فى غير وجه خروج إنما خرج بقتل نفسه [٥] .

يروى الرواة بأن معظم أقرباء الحسين بن علىّ كانوا ضد خروجه على يزيد حيث أنهم لم يشاركوا فى الخروج على نظام الدولة بدليل أن أخاه محمد بن الحنفية الذى كان يعدّ من رجال العلم والزهد والشجاعة قد قام برفض طلب الحسين أن يصحبه شخصيًّا أو أحد من أبنائه فى الخروج على يزيد [٦] .

---

(١) إتمام الوفاء : فى سيرة الخلفاء . ص ١٤ .

(٢) تاريخ الطبرى : ج ٦ ص ١٩١ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية . ج ٨ ص ١٦٣ .

(٤) نفس المصدر .

(٥) نفس المصدر .

(٦) نفس المصدر .

وإن كبير عائلة ابن هاشم فى ذلك الوقت عبد الله بن عباس هتف بالحسين قائلاً : « لولا أن يزدى بى وبك الناس لشبثت يدى فى رأسك فلم أتركك تذهب » [١] .

ولكن الحسين كان مصرًّا على موقفه فرد عليه قائلاً : « أبا العباس إنك شيخ كبير قد كبرت » [٢] .

إن عبد الله بن عباس كان يدرك مسئوليته تجاه أفراد عائلته حيث أنه كان كبير أهل البيت وأعلمهم بتفاسير القرآن [٣] .

ولذلك قد أقترح على الحسين فى آخر الأمر أن يرحل وحده دون أن يأخذ عائلته فقال : « فإن كنت سائراً فلا تسر بأولادك ونسائك فوالله إنى لخائف أن تُقتل كما قُتِل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه » [٤] .

إن الروايات الموضحة تؤكد أن موقف أصحاب النبى ﷺ كان يختلف عن موقف الحسين بن علىّ تماماً بشأن الخروج على يزيد حيث أنهم لم يشاركوه فيه على الإطلاق .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية . ج ٨ ص ١٥٩ .

(٢) نفس المصدر : ج ٨ ص ١٦٤ .

(٣) ابن تيمية : منهاج السنة . ج ٢ ص ١١٨ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية . ج ٨ ص ١٦٠ .

موقف يزيد بن معاوية تجاه خروج الحسين عليه

عندما سمع يزيد بن معاوية خبر خروج الحسين بن علىّ عليه لجأ إلى سياسة ضبط النفس وحُسن التدبير بدلاً من التشنّج والإنفعال والبطش عملاً بوصية أبيه : « وأما الحسين فإنه رجل خفيف ولن يتركه أهل العراق حتى يخرجوه فإن خرج وظفرت به فاصفح عنه فإن له رحماً ماسة وحقًا عظيماً وقرابة من محمد ﷺ » (١) .

وجاء فى رواية أخرى : « انظر حسين بن علىّ ابن فاطمة بنت رسول الله فإنه أحب الناس إلى الناس فصِلْ رحمه وارفُق به » (٢) .

ومن هذا المنطلق فإن يزيد بن معاوية قد قام بتحرير خطاب إلى كبير عائلة لبنى هاشم فى ذلك الوقت عبد الله بن عباس راجياً بذل المساعى حتى يعدل الحسين عن موقفه كما يروى المؤرخ ابن كثير : « وكتب يزيد بن معاوية إلى ابن عباس يخبره بخروج الحسين إلى مكة وأحسبه قد جاءه رجال من أهل المشرق فمنوه الخلافة وعندك منهم خبر وتجربة فإن كان قد فعل فقد قطع راسخ القرابة وأنت كبير أهل بيتك والمنظور إليه فاكففه عن السعى فى الفرقة » (٣) .

وإن عبد الله بن عباس قد تعهد فى خطابه الذى أرسله ردًا على خطاب يزيد بن معاوية ببذل جهوده ومساعيه لإرجاع الأُلفة والمودة فيما بينهما وينبذ الفرقة والخلاف عن الصف الإسلامى وبالإضافة إلى ذلك أنه تعهد بشأن تقديم نصحه للحسين كما يتضح من خطابه مانصه : « إنى لأرجو أن لا يكون خروج الحسين لأمر تكرهه ولستُ أدع النصيحة له فى كل ما تجتمع به الأُلفة وتطفىء به الثائرة » (٤) .

---

(١) ابن الأثير : الكامل . ج ٣ ص ٢٦٤ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية . ج ٨ ص ١٦٢ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية . ج ٨ ص ١٦٤ .

(٤) نفس المصدر .

وعندما تأكد يزيد بن معاوية بأن الحسين غير راض بأن يعدل عن موقفه فأصدر أمراً إلى رجال حكومته بعدم التعرض له إلا فى حالة هجومه ضد مصالح الدولة حيث يقول : « قد بلغنى أن الحسين قد توجه إلى نحو العراق فضع المناظر والمسالح واحترس واحبس على الظنة وخذ على التهمة غير أن لا تقتل إلا من قاتلك واكتب إلىّ فى كل ما يحدث من خير والسلام » (١) .

وكما أن مروان قام بإرسال خطاب إلى ابن زياد يوصى فيه بالتعامل مع الحسين بالرفق واللين رغم أن شخصية مروان موضع التهمة عند الطاعنين حيث يزعمون بأنه قد أشار على عامل يزيد على المدينة المنورة بقطع رأس الحسين – فى حالة إنكاره لمبايعة يزيد – ولكن الخطاب الذى أرسله مروان إلى ابن زياد يدل بأن هذه التهمة عارية عن الحقيقة إذ جاء فى الخطاب ما نصه : « أما بعد فإن الحسن بن علىّ ابن فاطمة توجه إليك وفاطمة بنت رسول الله ﷺ وتاالله ما أحد يسلمه الله أحب إلينا من الحسين فإياك أن تهيج على نفسك ما لا يسره شىء ولا تنساه العامة ولا تدع ذكره آخر الدهر والسلام » (٢) .

بالإضافة إلى ذلك لا نجد فى مصادر التاريخ أى إجراء اتخذ ضد الحسين بن علىّ أثناء مكوثه بمكة المكرمة من قِبَل عامل يزيد بن معاوية المعين على مكة المكرمة رغم أن الوفود كانت تفد إليه من العراق محرّضة إياه الخروج على نظام الدولة بل إن موقفه كان كريماً معه حيث أنه قد أرسل إليه خطاباً يطلب منه العدول عن موقفه حفاظاً على وحدة الأمة الإسلامية حيث يقول : « إنى أسال الله أن يلهمك رشدك وأن يصرفك عما يُرديك بلغنى أنك قد عزمتَ على الشخوص إلى العراق وإنى أُعيذك الله من الشقاق فإنك إن كنتَ خائفاً فاقبل إلىّ فلكِ عندى الأمان والبر والصلة » (٣) .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية . ج ٨ ص ١٦٥ وتاريخ الطبرى : ج ٣ ص ٢٩٣ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية . ج ٨ ص .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية . ج ٨ ص ١٦٤ . وتاريخ الطبرى : ج ٣ ص ٢٩٧ .

إن عامل مكة المكرمة فى ذلك الوقت عمرو بن سعيد لم يكتف بهذا فحسب بل قد اتخذ خطوة أخرى لإيقاف الفرقة والتمزق فى الأمة الإسلامية حيث أنه أرسل أعوانه وراء الحسين ليمنعوه من مغادرة مكة المكرمة إذ يقول المؤرخ الطبرى : « لما خرج الحسين من مكة اعترضه رسل عمرو بن سعيد فقالوا له : انصرف أين تذهب ؟ فأبى عليهم ومضى وتدافع الفريقان فاضطربوا بالسياط ثم إن الحسين وأصحابه امتنعوا امتناعاً قويًا ومضى الحسين عليه السلام على وجهه فنادوه : يا حسين ألا تتقى الله ؟ تخرج من الجماعة وتفرق بين هذه الأمة » (١) .

إن الروايات المشار إليها تؤكد بأن يزيد ورجال حكومته قد اتخذوا موقفاً كريماً مع الحسين وقد بذلوا جهودهم لحل الأزمة بطريقة سلمية وأن قلوبهم خالية من السوء تجاه الحسين كما يزعم بعض الطاعنين وذلك نظراً لمكانته ومنزلته من الرسول ﷺ .

---

(١) تاريخ الطبرى : ج ٣ ص ٢٩٦ .

رجوع الحسين بن علىّ رضى الله عنه عن موقفه

عندما لاحظ الحسين بن علىّ رضى الله عنه سياسة الغدر والخيانة من قبل أهل الكوفة الذين قد وعدوه بتقديم التضحية والعون فى حقه ولكن أعمالهم كانت متناقضة تماماً مع أقوالهم فقد كان ذلك دافعاً قويًّا للحسين بن علىّ رضى الله عنه أن يتراجع عن موقفه وأن يعرض مشروع التنازل على عمر بن سعيد فى حق يزيد بن معاوية كما تبيّن من مقولة الحسين التى نقلها الطبرى ما نصّها : « حتى أضع يدى فى يد يزيد بن معاوية » [١] .

وكذلك من قول الحسين الذى قاله بعد أن واجه الحقيقة : « خذلتنا شيعتنا فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف من غير حرج عليه وليس عليه منّا ذم » [٢] .

جدير بالإشارة هنا أن الحسين كان يشك فى نية أهل الكوفة منذ بداية الأمر وكان متردداً فى الذهاب إليهم كما يروى المؤرخ ابن كثير : « مرة يريد أن يسر إليهم ومرة يجمع الإقامة عنهم » [٣] .

وقد سبق أن الحسين بن علىّ قد عدل عن موقفه وهو فى طريقه إلى الكوفة بالأحرى عندما وصل إلى منتصف الطريق وبلغ إليه نبأ قتل مسلم بن عقيل فأراد أن يرجع من حيث أتى ، ولكن هناك بعض العوائق قد حالت دون تحقيق ما كان يريده الحسين .

أولا : مطالبة أبناء مسلم بن عقيل بأخذ الثأر بدم أبيهم فقد كانوا غير راضين

---

(١) تاريخ الطبرى : ج ٣ ص ٣١٢ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية . ج ٨ ص ١٩٩.

(٣) نفس المصدر : ج ٨ ص ١٦١ .

عن التخلى عن موقفهم بل ألحّوا على الحسين أن يشترك معهم فى مهمتهم كما يحكى صاحب عمدة الطالب : « واتصل به خبر قتل مسلم بن عقيل فى الطريق فأراد الرجوع فامتنع بنو عقيل من ذلك » [١] .

وإن نفس المعنى قد أورده صاحب مقاتل الطالبيين حيث يقول : لا نرجع والله أبداً أو ندرك ثأرنا أو نقتل بأجمعنا [٢] .

ويقول الدينورى شارحاً موقف بنو عقيل وإصرارهم على الثأر مانصه : « فقال بنو عقيل وكانوا معه مالنا فى العيش بعد أخينا مسلم حاجة ولسنا براجعين حتى نموت » [٣] .

ويقول المؤرخ ابن كثير مشيراً إلى موقف بنى عقيل : « لا والله لا نرجع حتى ندرك ثأرنا أو نذوق ما ذاق أخونا » [٤] .

ثانيا : إن هناك سبب آخر حال دون تحقيق ما كان يرغبه الحسين بشأن الرجوع عن موقفه إذ أن الوفد المكون من ستين شخصاً وفدوا خصيصاً إلى الحسين من الكوفة لتحريضه كما يروى المؤرّخ ابن كثير فى ذكر شأن الوفد المرافق للحسين : « خرج الحسين متوجهاً إليهم (أهل الكوفة) فى أهل بيته وستين شخصاً من أهل الكوفة صحبة وذلك يوم الاثنين فى عشر ذى الحجة » [٥] .

إن الوفد المشار إليه قد نصح الحسين أن يستمر فى مهمته حتى يتحقق الهدف المنشود وبالإضافة إلى ذلك أنه أشار عليه أيضاً بأنه سيكون موضع الترحيب والتقدير عند أهل الكوفة عند وصوله كما يروى الطبرى فقال له بعض أصحابه : « إنك والله

---

(١) ابن عنبة : عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب . ص ١٧٩ .
(٢) أبو الفرج الأصفهانى : مقاتل الطالبين . ص ١١٠ .
(٣) الدينورى : أخبار الطوال . ص ٣١٠ .
(٤) ابن كثير : البداية والنهاية . ج ٨ ص ١٦٩ .
(٥) نفس المصدر : ج ٨ ص ١٦٥ .

ما أنت مثل مسلم بن عقيل ولو قدمت الكوفة لكان الناس أسرع إليك »[١] .

إن سياسة الغدر والخيانة التى اتخذها أهل الكوفة بالنسبة للحسين قد جعلته يعدل عن موقفه معلناً السماح له أن يعود إلى المدينة أو يسير أى ثغر من ثغور المسلمين فيكون مجاهداً فى سبيل الله أو يسير إلى يزيد بدمشق[٢] .

---

(١) تاريخ الطبرى : ج ٦ ص ٢٢٥ .

(٢) تاريخ الطبرى : ج ٧ ص ٣١٢ ، ٣١٤ . والعقد الفريد : لابن عبد ربه . ج ٤ ص ٣٧٩ .

مأساة كربلاء فى ميزان البحث العلمى

إن مأساة كربلاء تحتل مكانًا بارزاً فى التاريخ وذلك بسبب ارتباطها باستشهاد حفيد نبينا محمد ﷺ أن هذه الحادثة لا تقل أهميتها عن الحوادث الكبرى التى وقعت فى تاريخ البشرية من حيث البشاعة المروعة .

إن المؤرخين من المسلمين قاطبة يرون بأن هذه الحادثة نقطة سوداء فى تاريخ الأمة الإسلامية والتى هزّت كيان البشرية ولكن فى نفس الوقت فإن الرواة قد أسرفوا فيها إسرافاً كبيراً وأن السبب يرجع إلى عدم دقتهم وإمعانهم فى الروايات الواردة بهذا الشأن أو بالأحرى عدم تأكدهم من صدق رُواتهم الحقيقيين الذين قد تم عن طريقهم نقل هذه الحادثة المروعة هل أن هؤلاء الرواة قد التزموا الصدق والأمانة فى ذكرها ؟ أو أنهم يهدفون إلى شىء آخر من وراء سرد تلك الحادثة بالشكل المبالغ فيه . جدير بالذكر أن مأساة كربلاء قد وردت عن طريق أبى مخنف لوط بن يحيى ومحمد بن السائب الكلبى وابنه هشام الذين ليسوا موضع الثقة عند علماء الجرح والتعديل بل كانوا متهمين بالكذب والوضع والتشيع حيث يرى الإمام السيوطى عن أبى مخنف لوط بن يحيى ومحمد بن السائب الكلبى بأنهما كذابان (١) .

يقول الإمام الذهبى عن أبى مخنف : « لا يوثق به تركه أبو حاتم » قال الدارقطنى : « ضعيف » قال ابن معين عنه : « ليس بثقة » قال مرّة متحدثاً عن أبى مخنف : « ليس بشىء » وإن ابن عدى يتهمه بالتشيع (٢) .

ونقل صاحب معجم الأدباء قول أئمة الرجال بشأن أبى مخنف ما نصه : « وهو كوفى وليس حديثه بشىء » (٣) .

---

(١) السيوطى : اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة . ص ٣٨٦ .

(٢) الذهبى : ميزان الاعتدال .

(٣) معجم الأدباء : ج ٢ ص ٤١ .

وأما بالنسبة لمحمد بن السائب الكلبى فيرى ابن حبان : « كان الكلبى سبائيًّا من أولئك الذين يقولون : إن عليًّا لم يمت وإنه راجع إلى الدنيا ويملأها عدلًا كما ملئت جوراً » [١] .

وقال ابن معين : إن الكلبى ليس بثقة .

وقال الأعشى : اتق هذا السبائه إنى أدركتُ الناس يسمونهم الكذابين [٢] .

وإن ابنه هشام لا يختلف عن أبيه فهو محل النظر والشك عند علماء الثقات حيث أن الدارقطنى وغيره من العلماء يرونه متروك قال ابن عساكر : إنه رافضى وليس بثقة [٣] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية معلقاً على الرواة المشار إليهم : « أبو مخنف وهشام ابن محمد بن السائب الكلبى وأمثالهما من المعروفين بالكذب عند أهل العلم » [٤] .

والطريف أن أبا مخنف وأمثاله من الرواة ليسوا موجودين وقت الحادثة ولا بعدها بفترة بل إن أبا مخنف الذى يعتبر مرجعاً رئيسياً لنقل الروايات بشأن مأساة كربلاء قد ولد فى سنة ١٧٠ هـ كما يروى الإمام الذهبى [٥] .

ومن هنا فإن جميع الروايات الموجودة فى بطون كتب التاريخ عن طريق الرواة المشار إليهم ليست خاليّة من الكذب والدس على الإطلاق بل إن لون التلفيق جلىّ فيها بكل وضوح .

هل إن أبا مخنف نقل حادثة كربلاء عن طريق أحد الرواة الذين قد شهدوها أو عاصروا ذلك الزمن الذى استشهد فيه الحسين بن علىّ رضى الله عنه ؟

---

(١) الذهبى : ميزان الاعتدال . ج ٣ ص ٦٢ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) الذهبى : ميزان الاعتدال . ج ٣ ص ٢٥٦ .

(٤) ابن تيمية : منهاج السنة . ج ١ ص ١٣ .

(٥) الذهبى : ميزان الاعتدال . ج ٣ ص ٢٦٠ .

الواقع أن الإجابة على هذا السؤال لا نجدها فى كتب التاريخ - على الإطلاق - إن هذا يدل على أن تلك الروايات موضوعة وملفقة تماماً كما أشار إليها شيخ الإسلام ابن تيمية : « والذين نقلوا مصرع الحسين زادوا أشياء من الكذب كما زادوا فى قتل عثمان وكما زادوا فيها يراد تعظيمه من الحوادث وكما زادوا فى المغازى والفتوحات وغير ذلك . والمصنفون فى أخبار قتل الحسين منهم من هو من أهل العلم كالبغوى وابن أبى الدينا وغيرهما ومع ذلك فما يروونه آثار متقطعة وأمور باطلة وأما ما يرويه المصنفون فى المصرع بلا إسناد فالكذب فيه كثير » (١) .

وإن الطبرى الذى يحتل مكان الصدارة لنقل الروايات بالتحديد عن طريق أبى مخنف فإنه قد حشد فى تاريخه مجموعة من الروايات الخرافية وغير الصحيحة جمع فيها بين الغث والسمين .

جدير بالإشارة هنا أن مفهوم التاريخ يختلف فى يومنا هذا عما كان عليه فى العصور الغابرة - أيام الطبرى - فالمؤرخون فى ذلك الزمان لم يستندوا إلى قواعد البحث العلمى من حيث الصحة والدقة وكما لم تطبق على الروايات قواعد التمحيص العلمى الدقيق كما تطبق فى قوانين العلوم الطبيعية ولكنها أقوال تؤخذ على علاتها ومن هنا أن الطبرى ليس مؤرخاً - بالمفهوم العلمى الحديث - فالطبرى يسرد أحداثاً ولكنه لا يقف وراءها فقد ورد فى مؤلفه كثير من الروايات غير المألوفة والتى تخالف المنطق بالإضافة إلى كثير من الإسرائيليات المدسوسة لتشويه التاريخ الإسلامى .

إن الطبرى قد اعترف فى مقدمته بكل وضوح بأنه جمع وذكر الحوادث فى تاريخه بدون إبداء الرأى عليها ثم يتابع فى مقدمته قائلاً : الذى أقدمه ولا يستسيغه القارىء يضرب به عرض الحائط (٢) .

إن هذا اعتراف صريح من المؤلف بأنه حشد كتابه من الروايات بدون الرجوع إلى تمحيصها أو تحقيقها بل يبدو أنه ترك هذه المهمة الشاقة للباحثين والدارسين .

---

(١) ابن تيمية : منهاج السنة . ج ٤ ص ٥٥٦ .

(٢) تاريخ الطبرى : ج ١ ص ١٣ .

بالإضافة إلى ذلك أن الطبرى يوجد عنده نزعة التشيع بدليل أن المؤلف قد قام باستعمال عبارة : « عليه السلام » فى حق علىّ وولديه الحسن والحسين عند ذكرهم فى تاريخه تمشياً على درب أهل التشيع كما أنه جمع أحاديث غديرخم فى مجلدين ضخمين وكتاباً جمع طريق حديث الطير ويقول بجواز مسح القدمين فى الوضوء وأنه لا يوجب غسلهما وفقاً على مذهب الشيعة [١] .

إن نزعة التشيع هذا والتى كانت توجد لدى الطبرى قد حالت دون دفنه فى مقابر المسلمين كما يحكى المؤرخ ابن كثير : « ودفن فى داره لأن بعض عوام الحنابلة ورعاعهم منعوا من دفنه نهاراً ونسبوه إلى الرفض [٢] » .

ويتضح من هذا العرض بأن الرواة الذين ورد ذكرهم بشأن مأساة كربلاء فى تاريخ الطبرى كانوا متهمين بالتشيع والوضع وكما أن الطبرى نفسه ليس خال من نزعة التشيع كما أشرنا .

وإن أكبر دليل على بطلان تلك الروايات هو وجود تناقض فيها أو بالأحرى وجود خلاف بين الرواة فى وصف تلك الحادثة البشعة حيث أنهم قد اختلفوا فى تحديد الزمان والمكان بشأن وقوعها . إن المؤرخ الطبرى يذكر فى تاريخه نقلاً عن بعض الرواة بأنها وقعت فى شهر صفر بدلاً من شهر المحرم وكما أن الحسين قد استشهد فى « نينوى » عكس ما يروى الرواة باستشهاده فى كربلاء د ما نصه : « قال ابن سعيد أخبرنا محمد ابن عمر قال قتل الحسين بن علىّ فى صفر سنة ٦١ هـ وهو يومئذ ابن خمسة وخمسين » [٣] .

وفى رواية أخرى من نفس الكتاب : « فقدم الحسين العراق فقتل بنينوى يوم عاشوراء » [٤] .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية . ج ١١ ص ١٤٧ .

(٢) نفس المصدر : ص ١٤٦ .

(٣) تاريخ الطبرى : ج ٣ ص ٢٢٣ .

(٤) نفس المصدر .

وجدير بالإشارة هنا أن احتفال ذكرى يوم عاشر من شهر المحرم لاستشهاد الحسين بن عليّ لا يوجد له سند فى تاريخنا الإسلامى قبل معز الدولة بل إن هذا من عمله كما يروى المؤرخ ابن كثير : « فى عاشر المحرم من هذه السنة أمر معز الدولة بن بويه - قبحه الله - أن تغلق الأسواق وأن يلبس النساء المسوح من الشعر وأن يخرجن فى الأسواق حاسرات عن وجوههن ناشرات شعورهن يلطمن على وجوههن ينحن على الحسين بن أبى طالب »[(١)] .

وإن عمر بن سعد الذى يرى الوضاعون بأن له دوراً كبيراً فى سفك دم حفيد نبينا محمد ﷺ حيث يقدمه الطبرى عن طريق أبى مخنف بالشكل الذى لا يليق بمكانته بينما أنه كان من كبار التابعين الثقات[(٢)] .

بالإضافة إلى ذلك أن أباه سعد بن أبى وقاص كان من العشرة المبشرين وقد قال النبى ﷺ مخاطباً له فى غزوة أُحد عندما لاحظ فيه البسالة والشجاعة وروح التضحية : « ارم فداك أبى وأمى وقال هذا خالى فليأت كل رجل بخاله »[(٣)] .

إن هذا كان شرف كبير بالنسبة لعمر بن سعد الذى كان يعتز به طوال حياته . ومن ثم نلاحظ بأنه قد انفجر بالبكاء عندما استشهد الحسين بن عليّ كما يروى المؤرخ الطبرى : « فكأنى أنظر دموع عمر بن سعد وهى تسيل على خديه ولحيته »[(٤)] .

يروى الرواة أن عمر بن سعد كان له موقف كريم بشأن أسرة الحسين بعد استشهاده حسب ما يذكر صاحب أخبار الطوال : « وأمر عمر بن سعد بحمل نساء الحسين وأخواته وجواريه وحشمه فى المحامل المستورة على الإبل »[(٥)] .

هل إن هذا يدل على أن عمر بن سعد قد اتخذ موقفاً معادياً تجاه الحسين ؟ هل

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية . ج ١١ ص ٢٤٣ .

(٢) ابن حجر العسقلانى : تهذيب التهذيب : ج ٧ ص ٤٥٠ .

(٣) ابن قتيبة : المعارض . ص ١٠٦ .

(٤) تاريخ الطبرى : ج ٣ ص ٢٥٩ .

(٥) الدينورى : أخبار الطوال . ص ٢٧٨ .

إن هذا العمل يوحى بإشتراكه مع المجرمين الذين قاموا بسفك دم الحسين ؟

وأما بالنسبة إلى دفن رأس الحسين بن علىّ فهناك روايات متعددة متضاربة مؤداها بأنه دفن فى ثمان جهات عديدة .

ونقل صاحب ناسخ التواريخ قول الإمام محمد الباقر بأن رأس الحسين لم يفصل عن جسده على الإطلاق هذا ما نصه : « الرأس مع الجسد والجسد مع الرأس » (١) .

وهناك رواية أخرى بأن على بن الحسين المعروف بزين العابدين أنه قد قام بإجراء مراسم الدفن والغسل والصلاة على الميت وذلك لعدم وجود إمام آخر سواه وهذا كان من حقه أن يفعل الواجب المطلوب نحو جثة الحسين وفقاً على المذهب الشيعى (٢) .

يرى البلازرى بأن خالد بن عقبة بن أبى معيط الذى كان يعدّ من أصحاب النبى ﷺ قد شهد جنازة الحسين (٣) .

هل أقيمت صلاة الجنازة على الميت وهو كان مبتور الرأس ؟

يرى المؤرخ ابن كثير بأن الروايات التى وردت بشأن فصل رأس الحسين عن جسده متضاربة تماماً .

وهناك أكبر دليل على بطلان الروايات التى وردت بشأن مأساة كربلاء وهى ما أوردها أبو مخنف فى كتابه بعنوان : « مقتل أبى مخنف » والتى تشير إلى تلفيقها ودسها وفى نفس الوقت تأثرها بصبغة عجمية لأول وهلة للقارئ وخلاصتها بأن الحسين بن علىّ عندما أُغمى عليه متأثراً من الجرح فأراد شبث بن ربعى أن يفصل رأسه عن جسده ولكن الإمام فتح عينيه وحملق فيه – مما أدخل الرعب فى قلبه – إن هذا قد دفعه أن يعدل عن موقفه معللاً : « فاستحييتُ أن أقتل شبيهاً لرسول الله » (٤) .

---

(١) المرزاتقى خان : ناسخ التواريخ . ص ٣٧٧ .

(٢) المرزاتقى خان : ناسخ التواريخ . ص ٣٧٧ .

(٣) البلازرى : جمهرة الأنساب . ص ١٠٦ .

(٤) مقتل أبى مخنف : ص ٩١ .

وحدث نفس الشيء مع سنان بن أنس الذى عدل عن إرادته قائلاً : « فذهبتُ عن قتله » ولكن شمر بن ذى الجوشن كان مصمّماً على قتله وتوجه إلى الحسين قائلاً : « إنى لأقتله سواء شبه المصطفى وعلىّ المرتضى » فسأله الحسين هل أنت تعرفنى ؟ فرد شمر بن ذى الجوشن قائلاً : « أنت الحسين وأبوك المرتضى وأمك الزهراء وجدك المصطفى وجدتك خديجة الكبرى » (١) .

وقد استمر أبو مخنف فى سرد ذلك الحوار الذى دار بين الحسين بن علىّ وشمر بن ذى الجوشن ما نصه : « فقال له ويحك إذا عرفتنى فلِمَ تقتلنى ؟ فقال له : أطلب بقتلك الجائزة من يزيد فقال له الحسين : أيّما أحبّ إليك شفاعة جدّى رسول الله أم جائزة يزيد ؟ فقال وإننى من جائزة يزيد أحبّ إلىّ منك ومن شفاعة جدك وأبيك » (٢) .

وعندما أيقن الحسين بأن قتله محتوم ولا محالة منه فطلب الماء قائلاً : « إذا كان لابد من قتلى فاسقنى شربة من الماء » فأجاب شمر بن ذى الجوشن : « اصبر قليلاً حتى يسقيك أبوك » وعندما قصد شمر إلى الحسين لقتله بدأ يصيح قائلاً ما نصه : « وكلما قطع منه عضواً نادى الحسين : وا محمداه ، واعلياه ، وا حَسَنَاه ، وا جعفراه ، وا حمزتاه ، وا عقيلاه ، وا عباساه ، واقتيلاه ، واقلة ، ناصراه ، وا غربتاه ، فاحتزر رأسه وعلاه على قناة طويلة فكبر العسكر ثلاث تكبيرات وتزلزلت الأرض وأظلم الشرق والغرب وأخذت الناس الرجفة والصواعق وأمطرت السماء دماً ونادى منادٍ من السماء : قُتِل والله الإمام ابن الإمام أخو الإمام أبو الإمام أبو الأئمة الحسين بن أبى طالب فلم تمطر السماء دماً إلا ذلك اليوم » (٣) .

هل إن هذا الكلام يقبله العقل والفكر ؟ ألا يفوح من هذا رائحة الجبن والخوف ؟ حقًّا إن الكلام المشار إليه بعيد عن شخصية الحسين بن علىّ الذى كان معروفاً بشجاعته وبسالته .

---

(١) نفس المصدر : ص ٩٢ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) مقتل أبى مخنف : ص ٩٣ .

الواقع إذا وزن هذا الكلام فى ميزان الحق والعدالة فنجده عارٍ عن الحقيقة بل إنه مكذوب وموضوع ومن مفتريات الباطنيين (قبحهم الله) الذين نسبوه إليه زوراً وبهتاناً وإن هذا الذى قد دفع المؤرخ ابن كثير أن يدلى برأيه حول روايات مأساة كربلاء الموجودة فى بطون الكتب التاريخية بكل صدق وأمانة إذ يقول : « وللشيعة والرافضة فى صفة مصرع الحسين كذب كثير وأخبار باطلة وفيما ذكرنا كفاية وفى بعض ما أوردناه نظر ولولا ابن جرير وغيره من الحفاظ والأئمة ذكروه ما سقته وأكثره من رواية أبى مخنف لوط بن يحيى وقد كان شيعاً وهو ضعيف الحديث عند الأئمة ولكنه إخبارى حافظ عنده من هذه الأشياء ما ليس عند غيره ولهذا يترامى عليه كثير المصنفين فى هذا الشأن » (١) .

خلاصة القول أن معظم الروايات بشأن مأساة كربلاء التى وردت عن طريق أبى مخنف لوط بن يحيى وأمثاله عارية عن الصحة تماماً حيث أنه مطعون بتشيعه وبوضع الروايات عند علماء الجرح والتعديل كما تحدثنا .

إن هناك سؤالاً يثار فى أذهاننا هل من العدالة والإنصاف أن نعتمد على الروايات الموضوعة نقدم الأكاذيب والخرافات فى إلباس الحقيقة ؟

أليس هذا إجحاف فى حق التاريخ والعدالة بأن نضع الأشخاص الذين لا ناقة لهم ولا جمل فى مأساة كربلاء بناء على الروايات الواهي فى قفص الإتهام ؟

وإن المجرمين الذين لعبوا دوراً قذراً فى حق حفيد نبينا ومحسن الإنسانية محمد ﷺ والذين قد غابوا عن مسرحية الأحداث عن طريق مكرهم وخداعهم ودعاياتهم المضللة بأن نتركهم بدون أن نوجه إليهم مسئولية ذلك الحادث الأليم الذى راح ضحيته الحسين بن علىّ ومن ثم سوف يكون حديثنا فى الصفحات القادمة عن تحديد الجهة التى قامت بالعمل الشنيع فى حق الإنسانية وذلك فى ضوء الحقائق التاريخية .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية . ج ٨ ص ٢٠٢ .

من الذى ارتكب جريمة قتل الحسين بن علىّ رضى الله عنه ؟

إن الاعتقاد بالقضاء والقدر خيره وشره جزء من الإيمان وكما نؤمن بأن لله حكمة أجرى عليها أمور الناس والله بالغ أمره قد جعل لكل شىء قدره وأن الله سبحانه وتعالى يسيّر أمور الناس فى ملكوته بنظام محكم دقيق ولكن تقع فى هذا الكون بعض الأشياء التى تكون فوق فهم الإنسان وإدراكه منها استشهاد الحسين بن علىّ رضى الله عنه بشكل بشع ومروّع يشل الفكر والفهم ، ولكن هناك سؤال من الذى جرّ الحسين بن علىّ إلى لقاء مخيف مع الأقدار ؟

إن الإجابة على هذا السؤال تحتاج أولاً إلى توضيح حقيقة أهل الكوفة الذين طلبوا الحسين بن علىّ للحضور إليها لمبايعته وكما تعهدوه بتقديم التضحيات والفداء بشأن تنصيبه على عرش الولاية كما يتضح من آلاف الخطابات التى أُرسلت إلى الحسين بهذا الصدد .

الواقع أنه إذا رجعنا إلى مصادر الشيعة فنجد أن أهل الكوفة كانوا شيعيين حيث أن تشيعهم لا يحتاج إلى دليل وأن وجود السنيين بين أهاليها هذا يخالف الأصل كما يرى القاضى نور الله الشوسترى (١) .

ويرى الباقر المجلسى بأن الله عرض ولاية الأئمة على مدن العالم فلم يقبلها إلا أهل الكوفة (٢) .

وكما أن الذين قاموا بإرسال خطاباتهم إلى الحسين داعين إلى الكوفة قد أثبتوا لأنفسهم نسبة التشيع كما يتضح من عبارة العلامة المجلسى التى تدور حول إجتماع شيعة أهل الكوفة فى منزل سليمان بن صرد الخزاعى عندما وصل إليهم خبر وفاة معاوية بن أبى

---

(١) القاضى نور الله : مجالس المؤمنين باللغة الفارسية . ص ٤٠ .

(٢) الباقر المجلسى : تحفة الزائرين باللغة الفارسية . ص ٣٠ .

سفيان وتولية ابنه يزيد الولاية هذا ما نصه : « وعندما وصل إلى شيعة أهل الكوفة خبر وفاة معاوية بن أبى سفيان وتولية يزيد على الحكم فإنهم قد اجتمعوا فى دار سليمان بن صرد الخزاعى » (١) .

وجدير بالإشارة هنا أن الخطابات التى أُرسلت إلى الحسين بن علىّ من قِبَل أهل الكوفة كانت بعيدة عن الشك والتزوير لأن أئمة الشيعة يعرفون جيداً أسماء الشيعة الموجودين على وجه الأرض حيث أن أسماءهم وأسماء آبائهم مدوّنة لديهم وفقاً على المذهب الشيعى كما يتضح من قول الإمام رضا : « وإنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق وإن شيعتنا لمكتوبون عندنا بأسمائهم وأسماء آبائهم » (٢) .

وورد فى الاحتجاج الطبرسى نقلاً عن الإمام رضا : « وتكون عنده صحيفة فيها أسماء شيعته إلى يوم القيامة وصحيفة أسماء أعدائه إلى يوم القيامة » (٣) .

وإن أكبر دليل على تشيع أهل الكوفة وهو استعمال الحسين بن علىّ كلمة « الشيعة » فى حقهم كما جاء فى جلاء العيون : « أن الإمام الحسين قد جمع أصحابه وقال : قد بلغني أن مسلم بن عقيل وهانى بن عروة وعبد الله بن يقطر قد استشهدوا وأن شيعتنا قد امتنعوا عن نصرتنا ولا حرج على من ينفصل عنا » (٤) .

إن هذه الأقوال ناطقة بكل وضوح على تشيع أهل الكوفة .

هل أن الشيعة كانوا صادقين ومخلصين فى تعهدهم تجاه الحسين ؟ هل أن عليًّا ابن أبى طالب وولديه الحسن ، والحسين كانوا راضين عن موقف الشيعة ؟ هل أن أقوال الشيعة وتعهداتهم كانت تطابق مع أعمالهم ؟

من الأفضل أن نبحث إجابة الأسئلة الموضحة من مصادر الشيعة ومراجعهم تجنباً من إتهام التحيز .

---

(١) العلامة المجلسى : جلاء العيون باللغة الفارسية . ص ٢٥ .

(٢) الكيلنى : أحوال الكافى . ص ١٣٦ .

(٣) احتجاج الطبرسى : ص ٣ .

(٤) باقر المجلسى : جلاء العيون باللغة الفارسية . ص ٣٢ .

إن مصادر الشيعة المعروضة أمامنا توحى بأن عليًّا وابنيه الحسن والحسين كانوا غير راضين عن موقف الشيعة بل قد قاموا بإبداء كراهيتهم وغضبهم عليهم وتوجيه اللعنة إليهم على رءوس الخلائق حسب ما يتضح من أقوالهم المبعثرة فى بطون أمهات كتب الشيعة إن كتاب : « نهج البلاغة » له مكان خاص فى تراث الشيعى حيث أنهم يعتمدون عليه ويستدلون به على أساس أن الكتاب عبارة عن مجموعة من أقوال الإمام علىّ بن أبى طالب وخطبه ، فماذا يقول الإمام علىّ بن أبى طالب بشأن شيعته فاسمحوا لى أن نأخذكم معنا على جولة سريعة بهذا الصدد فيقول الإمام بعد أن فقد الأمل فى شيعته : « فنظرت فإذا ليس لى معين إلا أهل بيتى فضننتُ بهم الموت » (١) .

ويقول الإمام فى مكان آخر متحدثاً عن جبن شيعته وعصيانهم لأوامره : « والله يميت القلب ويجلب الهم اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم فقبحاً لكم وترحاً حين صرتم غرضاً يغار عليكم ولا تغيرون ولا تغزون ويعصى الله فيكم وترضون فإذا أمرتكم بالسير إليهم فى الصيف قلتم هذه حمارة القيظ أمهلنا ينسلخ عنا الحر وإذا أمرتكم بالسير إليهم فى الشتاء قلتم هذه صبارة القر أمهلنا حتى ينسلخ عنا البرد كل هذا فراراً من الحر وقر فأنتم والله من السيف أفر يا أشباه الرجال ولا رجال حلوم الأطفال وعقول رباط الحجال لوددت أنى لم أركم ولم أعرفكم معرفة والله وجدتُ ندماً قاتلكم الله لقد ملأتم قلبى قبحاً وشحنتم صدرى غيضاً » (٢) .

وجاء فى مكان آخر من نفس الكتاب غضب الإمام على شيعته لأنهم يخالفون الأوامر إذ يقول : « وقد كنت أمرتكم فى هذه الحكومة أمرى ونخلتُ لكم مخزون رأيى لو كان يطاع لقيصر أمراً فأبيتم علىّ إباء المخالفين الجناة والمنابذين العصاة حتى ارتاب الناصح بنصحه » (٣) .

وأضاف الإمام قائلاً موضحاً حقيقة حال شيعته الميئوسة منها : « أما والذى

---

(١) نهج البلاغة : ج ١ ص ٤٧ .

(٢) نهج البلاغة : ج ١ ص ٧٧ والكامل للمبرد : ج ١ ص ٣٠ ، ٣١ .

(٣) نفس المصدر : ج ١ ص ٩٣ .

نفسى بيده يظهرون هؤلاء القوم عليكم ليس لأنهم أولى بالحق ولكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم وإبطائكم عن حقى ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها وأصبحتُ أخاف ظلم رعيتى » [١] .

إن الأقوال المشار إليها تؤكد استياء الإمام علىّ بن أبى طالب من شيعته وعدم رضائه عنهم .

وإن ابنه الحسن قد مرّ بنفس الأزمات التى مرّ بها والده من قِبَل شيعته بل عملاً على المبدأ : « الحق يقال » تسمحوا لى أقول بأن الحسن قد تحمل كثيراً من المشاكل والمحن من قِبَل شيعته التى ما تحملها والده حتى أنهم أطلقوا عليه لقباً – بمذل المؤمنين – [٢] . الذى لا يليق بمكانته وموقعه من الرسول ﷺ على الإطلاق .

يروى الطبرى التعامل السيئى الذى قام به الشيعة مع الحسن بن علىّ عندما عقد الصلح مع معاوية بن أبى سفيان حيث يقول : « لما صالح الحسن بن علىّ بن أبى طالب معاوية بن أبى سفيان دخل عليه الناس فلامه بعضهم على بيعته فقال : ويحكم ما تدرون ما عملتُ والله الذى عملتُ خيراً لشيعتى مما طلعت عليه الشمس أو غربت (إلى أن قال) أما علمتَ أنه مامنا أحداً إلا ويقع فى عنقه بيعة لطاغية زمانه إلا القائم الذى يصلى خلفه روح الله عيسى ابن مريم » [٣] .

إن العبارة المشار إليها توحى بأن كل إمام من أئمة الشيعة على عنقه أن يقوم بمبايعة سلطان زمانه الجائر – إذا كان هذا يعدّ من معتقدات الشيعة – فكيف رفض الحسين بن علىّ حكم يزيد بن معاوية ؟

وورد فى نفس الكتاب شكوى الحسن وحزنه العميق على تصرفات شيعته لأنهم حاولوا اغتياله وكما قاموا باغتصاب أمواله إذ يقول : « عن زيد بن وهب الجهنى قال لما طعن الحسن بن علىّ بالمدائن أتيته وهو متوجع فقلت ما ترىٰ يا ابن رسول الله فإن

---

(١) نهج البلاغة : ج ١ ص ٢٠٤ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية . ج ٨ ص ١٩ .

(٣) احتجاج الطبرسى : ص ٤٨ .

الناس متحيرون فقال : أرى والله معاوية خير لى من هؤلاء يزعمون أنهم لى شيعة ابتغوا قتلى وانتهبوا ثقلى وأخذوا مالى والله لإن أخذ من معاوية عهداً أحقن به دمى وآمن به فى أهلى خير من أن يقتلونى فتضيع أهل بيتى وأهلى والله لو قاتلتُ معاوية لأخذوا لعنقى حتى يدفعونى إليه سلماً والله لأن أسالمه وأنا عزيز خير لى من أن يقتلنى وأنا أسير ويمن علىّ فيكون منة على بنى هاشم آخر الدهر ومعاوية لا يزال يمن بها على الحى منا والميت » (١) .

ويروى الباقر المجلسى بأن الحسن كان جالساً فى بيته فدخل عليه سفيان ابن ليلى وسلم عليه قائلاً : « السلام عليك يا مذل المؤمنين » (٢) .

هل أن هذه التصرفات تدل على أن الشيعة كانوا مخلصين أو من الأوفياء للحسن ابن علىّ ؟ وما هى الأسباب التى دفعتهم أن يقوموا بتلك الأعمال القذرة ؟ الواقع أن هذه ظاهرة غريبة فى حاجة إلى تفسير .

وأما بالنسبة للحسين بن علىّ فقد تجاوز شيعة أهل الكوفة كل قواعد الأخلاق والقيم معه حيث أنهم أدوا فى حقه عملاً شنيعاً لا يتجاوز عنه أو يتجاهله تاريخ البشرية أن جريمة سفك دم حفيد نبينا محمد ﷺ أصبحت نقطة سوداء فى صفحات التاريخ التى تدمي القلوب وتجرح المشاعر عندما يتذكر الإنسان المؤامرة الدنيئة التى دُبرت ضد الحسين بن علىّ وراح ضحيتها .

إن مصادر الشيعة تؤكد لنا بأن شيعة أهل الكوفة كان لهم دور كبير فى جريمة اغتيال الحسين بن علىّ ولكن الدعاية المضللة من قبلهم قد غيرت الحقيقة على الإطلاق حيث أصبح الحق باطلاً . إن الحسين بن علىّ قد انكشف عليه حقيقة المؤامرة التى أحيكت ضده بعد وصوله فوراً إلى الكوفة إذ أدرك أن حياته مهددة ومن ثم طلب أعوانه

---

(١) احتجاج الطبرسى : ص ١٤٨ .

(٢) باقر المجلسى : جلاء العيون . ص ٥٣ .

من المخلصين أن يبتعدوا عنه كما يروى الباقر المجلسى : « إن شيعتنا قد امتنعوا عن نصرتنا ولا حرج على من ينفصل عنا » (١) .

وعندما لاحظ الحسين على ساحة القتال بأن شيعته قد تحولوا إلى أعدائه فتوجه إليهم قائلاً : « تباً لكم أيتها الجماعة وبرحًا وبؤسًا لكم وتعسًا حين استصرختمونا ولهين فأصرخناكم موجفين فشحذتم علينا سيفاً كان فى أيدينا » (٢) .

وإن ابنه علىّ بن الحسن المعروف بزين العابدين قد قال بعد أن لاحظ فيهم النفاق والمكر بعد المأساة المروّعة بأن بكاهم وإبداء حزنهم لا قيمة له طالما أن اغتيال والده قد تم من قِبَلِهم كما جاء فى احتجاج الطبرسى : « لما أتى علىّ بن الحسين زين العابدين بالنسوة من كربلاء وكان مريضاً وإذا نساء أهل الكوفة يندبن مشتقات الجيوب والرجال معهن يبكون فقال زين العابدين عليه السلام بصوت ضئيل وقد نهكته العلة إن هؤلاء يبكون فمن قتلنا غيرهم » (٣) .

وأضاف الإمام زين العابدين قائلاً لهم بعد أن اتضح له خيانة شيعة أهل الكوفة مع أبيه حيث يقول : « أيها الناس ناشدتكم بالله هل تعلمون إن أنكم كتبتم إلى أبى وخدعتموه وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة قاتلتموه وخذلتموه فتباًلكم ما قد تم لأنفسكم » (٤) .

وإن شيعة أهل الكوفة قد أقروا بكل وضوح بأنهم كانوا سبباً للبلاء الذى حاق بالحسين بن علىّ إذ أنهم قد طلبوه إلى الكوفة ثم صلتوا عليه السيف كما جاء فى مجالس المؤمنين : « طلبنا الحسين إلى الكوفة ثم صلتنا عليه سيفاً ونزلت عليه البلاء بسبب خيانتنا وغدرنا » (٥) .

---

(١) باقر المجلسى : جلاء العيون . ص ٣٢ .

(٢) احتجاج الطبرسى : ص ١٥٤ .

(٣) احتجاج الطبرسى : ص ١٥٦ .

(٤) نفس المصدر : ص ١٥٧ .

(٥) القاضى نور الله الشوسترى : مجالس المؤمنين باللغة الفارسية . ص ٥٠ .

وإن هناك بعض الروايات وردت عن طريق أئمة الشيعة بأن جريمة اغتيال الحسين ابن علىّ قد تمت على أيديهم وإنها قد أصبحت نقمة عليهم إلى الأبد يعانون منها حتى الآن كما جاء فى أصول الكافى نقلاً عن أبى حمزة الثمانى الذى قال : « سمعتُ أبا جعفر عليه السلام يقول : يا ثابت إن الله تبارك وتعالى قد كان وقت هذا الأمر فى السبعين فلما قتل الحسين صلوات الله عليه اشتد غضب الله على أهل الأرض فأخّره إلى أربعين ومائة فحدثناكم فأذعتم الحديث فكشفتم قناع السر ولم يجعل الله بعد ذلك وقتاً عندنا » [١] .

إن الكلام الموضح يشير إلى أن موعد ظهور الإمام المهدى كان محدداً عند الله سبحانه وتعالى فى سنة ٧٠ هـ . ولكن الله سبحانه وتعالى قد أجّل موعداً لظهوره وذلك بسبب اشتراك الشيعة فى جريمة اغتيال الحسين بن علىّ ، وإذا كان الشيعة ليس لهم يد فى جريمة اغتيال الحسين بن علىّ فإذن لماذا حرّم الله سبحانه وتعالى السعادة والغبطة على الشيعة بعد أن أجّل موعد ظهور المهدى الذى كانوا ينتظرونه بفارغ الصبر ؟ لأنه على حسب معتقداتهم عندما يظهر الإمام المهدى فإن الشيعة سيكون لهم الحكم المطلق على العالم كله .

ويقول الطبرى : إن الشيعة قد تلاقت بالتلاوم والتندم ورأت أنها قد أخطأت خطأً كبيراً بدعائهم الحسين إلى النصرة وتركهم إجابته حتى قتل إلى جانبهم دون أن ينصروه ورأوا أنه لا يغسل عارهم والإثم عنهم فى مقتله إلّا بقتل من قتله أو القتل فيه ففزعوا بالكوفة إلى خمسة نفر من رءوس الشيعة واستقر الرأى بعد مناقشات بينهم على أن تكون الرئاسة إلى سليمان بن صرد الخزاعى ، ولكنه سرعان ما أدرك أن قتلة الحسين هم هؤلاء المطالبون بدمه وقد جاء فى كلماته التى يرويها الطبرى : « إنى نظرتُ فرأيت أن قتلة الحسين هم أشراف أهل الكوفة وفرسان العرب وهم المطالبون بدمه » [٢] .

إن الذنب الذى ارتكبه الشيعة فى حق الحسين بن علىّ لا تزال عقدته موجودة

---

(١) الكلينى أصول الكافى : ص ٢٣٢ .

(٢) تاريخ الطبرى : ج ٤ ص ٤٢٦ .

عند الشيعة حيث أنهم يجتمعون فى أيام عاشوراء فى الفترة التى قتل فيها الحسين ويكونون جماعات كبيرة ينشدون أناشيد حزينة حماسية ثم يتوقفون عن الإنشاد فترة يضربون فيها خدودهم بقسوة عنيفة عدة ضربات ثم يعودون إلى الإنشاد ثم الضرب وهكذا حتى تسيل الدماء من خدودهم أو تكاد ومنهم من لم يكتف بضرب نفسه بيده بل يعمد إلى خنجر أو سيف فيضرب به رأسه ويسيل دمه وتعتبر تلك الأفعال عندهم من وسائل التوبة إذ أنهم يعتقدون أن أخطاء أجدادهم قد انحدرت إليهم ولا وسيلة لتكفير هذه الأخطاء إلا إراقة دمائهم فى نفس الفترة التى أريق فيها دم الحسين ، وبعضهم يبالغ فى هذا التكفير فيسيل دمه على الأرض ليختلط بالتربة التى امتصت دم الحسين فكأنه بذلك امتزج به ولم يضنّ عليه بدمه إذا كان يزيد بن معاوية له يد بشأن جريمة اغتيال الحسين ابن علىّ كما يدعى الشيعة إذن فلماذا اتخذ ابنه علىّ بن الحسين وأخوه محمد بن الحنفية موقفاً يتسم بالحب والشكر والعرفان نحو يزيد بن معاوية ؟ .

يروى الرواة بأن على بن الحسين عندما لاحظ موقف يزيد تجاهه من الاحترام والتبجيل نظراً لعلاقته بالرسول ﷺ فدعا له بالخير والبركة حسب ما أكد ابن قتيبة ما نصه : « سأل يحيى بن شبل أبا جعفر يوم الحرّة هل خرج فيها أحد من بنى بيتك ؟ فقال : ما خرج فيها أحد من آل أبى طالب ولا خرج فيها أحد من بنى عبد المطلب ألزموا بيوتهم فلما قدم مسرف (أعنى مسلم بن عقبة) وقتل الناس وسار إلى العقيق فسأل عن علىّ بن الحسين أحاضر هو فقيل له فقال مالى لا أراه فبلغ أبى ذلك فجاء ومعه أبو هاشم عبد الله وابنا محمد بن علىّ (ابن الحنفية) فلما رأى أبى رحّب به وأوسع له على سريره ثم قال : كيف كنت بعدى ؟ قال : إنى أحمد الله إليك . فقال مسرف : « إن أمير المؤمنين أوصانى بك خيراً فقال أبى وصل الله أمير المؤمنين » [١] .

وكما أن محمد بن الحنفية قد فنّد تلك الإشاعات والتهم الموجهة إلى يزيد بن معاوية تمهيداً لإزالته عن الحكم فقال ردّاً على سؤال ابن مطيع وجماعته بأن يزيد يشرب ويترك الصلاة ويتعدى حكم الكتاب – فرد مفنّداً – : « ما رأيت منه ما تذكرون وقد حضرته

---

(١) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة . ج ١ ص ٢٣٠ – وطبقات ابن سعد .

وأقمت عنده فرأيته مواظباً على الصلاة متحرياً للخير يسأل عن الفقه ملازماً للسنة قالوا : فإن ذلك كان منه تصنعاً لك فقال وما الذى خاف منىّ أو رجا حتى يظهر إلىّ الخشوع ؟ أفأطلعكم على ما تذكرون من شرب الخمر ؟ فلئن كان أطلعكم على ذلك إنكم لشركاؤه وإن لم يكن أطلعكم فما يحل لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا ، قالوا : إنه عندنا الحق وإن لم يكن رأيناه فقال لهم : أبىٰ الله ذلك على أهل الشهادة فقال : ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف : ٨٦] ولستُ من أمركم فى شىء ، قالوا : فلعلك تكره أن يتولى الأمر غيرك فنحن نولِّيك أمرنا . قال : ما استحل القتال على ما تريدوننى عليه تابعاً ولا متبوعاً قالوا : فقد قاتلت مع أبيك قال جيئونى بمثل أبى أقاتل على مثل ما قاتل عليه فقالوا : فمر ابنيك أبا القاسم والقاسم بالقتال معنا قال : لو أمرتهما قاتلتُ قالوا : فقم معنا مقاماً تحض الناس فيه على القتال قال سبحان الله آمر الناس بما لا أفعله ولا أرضاه إذاً ما نصحتُ لله فى عبادة قالوا : إذاً نكرهك ، قال : إذاً آمر الناس بتقوى الله ولا يرضون المخلوق بسخط الخالق » (١) .

أليس هذا الحوار يدل على دفاع مجيد وموقف مشرف لمحمد بن الحنفية فى حق يزيد بن معاوية ؟ ألا يكفى ذلك للقضاء على الشائعات والتهم الموجهة إلى يزيد بن معاوية ؟ بل إن الحوار المشار إليه فى حقيقة الأمر سند قوى لنزاهته وبراءته من الأكاذيب والأضاليل المنسوبة إليه ومن هنا إن علمائنا من السلف الصالح لا يجيزون توجيه اللعنة إلى يزيد بن معاوية كما جاء فى الفتوى الصادرة بهذا الشأن من قِبَل حجة الإسلام الإمام الغزالى ما نصها : « سُئل عمن صرح بلعن يزيد هل يحكم بفسقه أم هل يكون ذلك مرخصاً له فيه ؟ وهل يسوغ الترحم عليه أم السكوت عنه أفضل ؟ فأجاب : لا يجوز لعن المسلم أصلاً ومن لعن مسلماً فهو ملعون وقد قال رسول الله ﷺ : « المسلم ليس بلعّان » .

وكيف يجوز لعن المسلم ولا يجوز لعن البهائم وقد ورد النهى ذلك وحرمة المسلم أعظم من حرمة الكعبة بنص النبى ﷺ ويزيد صح إسلامه وما صح قتله الحسين رضى

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية . ج ٨ ص ٢٣٣ .

الله عنه ولا أمر به ولا رضيه ومهما لا يصح ذلك منه ولا يجوز أن يظن ذلك به فإن إساءة الظن بالمسلم أيضاً حرام وقد قال تعالى : ﴿ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ ﴾ [الحجرات : ١٢] .

وقال النبى ﷺ : « إن الله حرّم من المسلم دمه وماله وعرضه وأن يُظن به الظن السوء » ومن زعم أن يزيد أمر بقتل الحسين رضى الله عنه أو رضى به فينبغي أن يعلم به غاية الحماقة فإن من قتل من الأكابر والوزراء والسلاطين على عصره لو أراد أن يعلم حقيقة من الذى أمر بقتله ومن الذى رضى به ومن الذى كرهه لم يقدر على ذلك وإن كان الذى قد قتل فى جواره وزمانه وهو يشاهده فكيف يعلم ذلك فيما انقضى عليه قريب من أربعمائة سنة فى مكان بعيد ؟ وقد تطرف التعصب فى الواقعة فكثرت فيها الأحاديث من الجوانب فهذا الأمر لا يعلم حقيقته أصلاً وإذا لم يعرف وجب إحسان الظن لكل مسلم – ومع هذا – فلو ثبت على مسلم أنه قتل مسلماً فذهب أهل الحق أنه ليس بكافر والقتل ليس بكفر بل هو معصية وإذا مات القاتل فربما مات بعد التوبة والكافر لو تاب من كفره لم تجز لعنته فكيف من تاب عن قتل ؟ ولم يعرف أن قاتل الحسين رضى الله عنه مات قبل التوبة : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ ﴾ [الشورى : ٢٥] فإذن لا يجوز لعن أحد ممن مات من المسلمين ومن لعنه كان فاسقاً عاصياً لله تعالىٰ ولو جاز لعنه فسكت لم يكن عاصياً بالإجماع بل لو لم يلعن إبليس طول عمره لا يقال له يوم القيامة لِمَ لَمْ تلعن إبليس ؟ ويقال للاعن لِمَ لعنت ؟ ومن أين عرفت أنه مطرود وملعون ؟ والملعون هو البعيد من الله عز وجل وذلك غيب لا يعرف إلا فيمن مات كافراً فإن ذلك علم بالشرع وأما الترحم عليه فجائز بل هو مستحب بل هو داخل فى قولنا فى كل صلاة « اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات » فإنه كان مؤمنا (١) .

ويقول الشيخ عبد الغنى المقدسى صاحب كتاب : « عمدة الأحكام » الذى قام بشرحه العلامة دقيق العيد الشافعى إذ يقول فى فتواه ردًا على سؤال عن يزيد بن معاوية : « خلافته صحيحة بايعه ستون من أصحاب رسول الله ﷺ منهم ابن عمر فمن أحبه

---

(١) الغزالى : إحياء علوم الدين . ج ٣ ص ١٠٨ ووفيات الأعيان لابن خلكان : ج ٢ ص ٤٤٩ والبداية والنهاية لابن كثير : ج ١٢ ص ١٧٣ .

فلا ينكر عليه ومن لم يحبه فلا يلزمه ذلك لأنه ليس من الصحابة الذين صحبوا رسول الله ﷺ » (١) .

ويقول ابن حجر المكى مبيناً بعدم توجيه اللعنة إلى معاوية بن أبى سفيان وابنه يزيد لأن أول الذكر كان من كبار أصحاب النبى ﷺ وأن ابنه يزيد كان يعدّ من المؤمنين إذ يقول : « ولا يجوز الطعن فى معاوية لأنه من كبار الصحابة ولا يجوز لعن يزيد ولا تكفيره فإنه من جملة المؤمنين وأمره إلى مشيئة الله إن شاء عذّبه وإن شاء عفا عنه .

وقال الغزالى وغيره يحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين وحكاياته وما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم فإنه يهيج على بغض الصحابة والطعن فيهم وهم أعلام الدين » (٢) .

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة : ج ٢ ص ٣٤ .

(٢) ابن حجر المكى : الصواعق المحرقة . ص ١٣٢ .

مصادر البحث

رتبت هذه المصادر حسب الترتيب الأبجدى لأسماء مؤلفيها مع اعتبار الاسم المشهور للمؤلف : « فمثلاً وضع ابن خلدون فى حرف الخاء وليس فى حرف العين لأن اسمه « عبد الرحمٰن بن محمد » ومع عدم اعتبار الملحقات (ابن – ال) .

(١) القرآن الكريم

(٢) أبو داود — سنن أبى داود .

(٣) أبو حنيفة الدينورى — الأخبار الطوال .

(٤) أبو طالب المكى — قوت القلوب : ج ٢ .

(٥) إبراهيم الأصبهانى — حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ج ١ .

(٦) أبو الفرج الأصفهانى — الأغانى

(٧) أبو مخنف — مقتل أبو مخنف

(٨) دكتور إبراهيم شعوط — الحقبة المثالية

(٩) دكتور إبراهيم مصطفى وشركاه — المعجم الوسيط

(١٠) ابن الأثير — الكامل فى التاريخ ج ٢ ، ٣ ، ٤

(١١) أربلى — كشف الغمة ج ١

(١٢) أحمد بن حنبل — مسند

(١٣) دكتور أحمد أمين — فجر الإسلام

(١٤) الأشعرى — اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع

(١٥) الألوسى — روح المعانى فى تفسير القرآن ج ٤

(١٦) أمير على — ASHORT HISTORY OF THE SARACENS

(١٧) البخارى — الجامع الصحيح

(١٨) باقر المجلسى — بحار الأنوار

(١٩) باقر المجلسى — تحفة الزائرين باللغة الفارسية

(٢٠) باقر المجلسى — جلاء العيون باللغة الفارسية ج ١

(٢١) الباقلانى — التمهيد فى الرد على الملحدة والمعطلة

(٢٢) البلازرى — فتوح البلدان

(٢٣) البلازرى — أنساب الأشراف

(٢٤) البلازرى — جمهرة الأنساب

(٢٥) الترمذى — جامع الترمذى ج ٢

(٢٦) ابن تيمية — منهاج السنة ج ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤

(٢٧) ابن تيمية — الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية

(٢٨) الثقفى — الغارات ج ١

(٢٩) جلال الدين السيوطى — تاريخ الخلفاء

(٣٠) جلال الدين السيوطى — اللآلى المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة

(٣١) الجصاص — أحكام القرآن ج ٢

(٣٢) ابن الجوزى — صفوة الصفوة

(٣٣) ابن حبان — الثقات

(٣٤) ابن الحديد — شرح نهج البلاغة ج ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤

(٣٥) ابن حجر العسقلانى — الإصابة فى تمييز الصحابة ج ١

(٣٦) ابن حجر العسقلانى — فتح البارى ج ١ ، ٢

(٣٧) ابن حجر العسقلانى — تهذيب التهذيب ج ٧

(٣٨) حسن إبراهيم حسن — زعماء الإسلام

(٣٩) حسين بخش — إمامت وملوكيت باللغة الأردية

(٤٠) ابن خلدون — المقدمة ج ٢

(٤١) الخوارزمى — المناقب

(٤٢) ابن رجب الحنبلى — كتاب الذيل على طبقات الحنابلة

(٤٣)	ابن خلكان	وفيات الأعيان وإبناء أنباء الزمان ج ٢
(٤٤)	رشيد رضا	تاريخ الأستاذ محمد عبده
(٤٥)	الذهبى	طبقات الحفاظ ج ١
(٤٦)	الذهبى	تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ج ٢ ، ٣
(٤٧)	الذهبى	ميزان الاعتدال
(٤٨)	ابن سعد	طبقات ابن سعد ج ٣
(٤٩)	سليم بن قيس [١]	كتاب سليم بن قيس
(٥٠)	سيد قطب	فى ظلال القرآن تفسير سورة الشورى
(٥١)	الشاه ولى الله دهلوى	حجة الله البالغة
(٥٢)	الشاه ولى الله دهلوى	إزالة الخفاء ج ١ ، ٢ باللغة الفارسية
(٥٣)	شبلى النعمانى	الفاروق ج ٢ باللغة الأردية
(٥٤)	الطبرى	تاريخ الأمم والملوك ج ١ إلى ٦
(٥٥)	الطبرى	جامع البيان فى تأويل القرآن ج ٧
(٥٦)	الطبرسى	احتجاج الطبرسى
(٥٧)	دكتور طه حسين	الفتنة الكبرى (١) عثمان
(٥٨)	دكتور طه حسين	الفتنة الكبرى (٢) علىّ وبنوه
(٥٩)	الطوسى	الأمالى ج ١ ، ٢
(٦٠)	عباس محمود العقاد	الديموقراطية فى الإسلام
(٦١)	ابن عنبة	عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب
(٦٢)	ابن عبد البر	الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ج ٣

(١) هو سليم بن قيس العامر الهلالى الكوفى مات فى سنة ٩٠ هـ تقريباً يقولون عنه : إنه من أصحاب علىّ ابن أبى طالب ويكتب الخواتسارى عنه : « صاحب أمير المؤمنين عليه السلام ومصنف كتاب مشهور الذى ينقل عنه فى البحار وغيره وقد كان من علماء أهل البيت عليهم السلام وإنه أدرك خمسة من الأئمة المعصومين عليهم السلام وهم أمير المؤمنين ، والحسنان ، وزين العابدين والباقر « روضات الجنان : ج ٤ ص ٦٦ » .

(٦٣)	ابن عبد ربه	العقد الفريد ج ٣
(٦٤)	ابن العربى	أحكام القرآن ج ١
(٦٥)	ابن العربى	العواصم من القواصم
(٦٦)	عبد الملك الجوينى (إمام الحرمين)	لمع الأدلة فى قواعد عقائد أهل السنة والجماعة
(٦٧)	على المتقى البرهابنورى	كنز العمال
(٦٨)	الغزالى	إحياء علوم الدين ج ٣
(٦٩)	القاضى نور الله الشوسترى	مجالس المؤمنين
(٧٠)	ابن قتيبة	المعارف
(٧١)	ابن قتيبة	الإمامة والسياسة
(٧٢)	ابن القيم	زاد المعاد ج ٢
(٧٣)	ابن كثير	البداية والنهاية ج ٧ إلى ١٢
(٧٤)	كرد على	الإدارة الإسلامية
(٧٥)	الكلينى	الكافى فى الفروع
(٧٦)	المبرد	الكامل فى اللغة والأدب ج ١
(٧٧)	محمد بن النعمان الملقب بالمفيد	الإرشاد
(٧٨)	محمد بن أبى بكر بن عبد الله ابن موسى الأنصارى التلمسانى	الجوهر فى نسب النبى وأصحابه العشرة ج ٢
(٧٩)	محمد بن عبد الوهاب	مختصر سيرة الرسول
(٨٠)	محمد زيادة	الحقبة المثالية
(٨١)	محمد مهدى شمس الدين	نظام الحكم والإدارة فى الإسلام
(٨٢)	محمد رضا	محمد رسول الله
(٨٣)	محمد حسين هيكل	الصديق أبو بكر
(٨٤)	دكتور محمد يوسف النجرامى	الشيعة فى الميزان
(٨٥)	المسعودى	مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ٢

(٨٦)	مسلم بن الحجاج	الجامع الصحيح
(٨٧)	دكتور مصطفى حلمى	نظام الخلافة فى الفكر الإسلامى
(٨٨)	المرزاتقى	ناسخ التواريخ
(٨٩)	ابن ميثم البحرانى	شرح نهج البلاغة
(٩٠)	وليم ميور	A NNALS OF THE EARLY CALIPHATE
(٩١)	ابن هشام	سيرة النبى ﷺ ج ٤
(٩٢)	ياقوت الحموى	معجم الأدباء
(٩٣)	ياقوت الحموى	معجم البلدان
(٩٤)	اليعقوبى	تاريخ اليعقوبى ج ٢ ، ٣

مؤلفات الكاتب

(١) الحركات المناهضة للإسلام .
(٢) أباطيل القاديانية فى الميزان .
(٣) الجزية فى الإسلام ومقارنتها بالنظام المالى عند الرومان والفرس .
(٤) العلاقات السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية .
(٥) الشيعة فى الميزان ترجم هذا الكتاب إلى اللغات الحية العالمية .
(٦) علىّ وبنوه فى ظل خلفاء المسلمين .
(٧) حج أور زيارت باللغة الأردية .
(٨) رهنماى حج أور عمرة باللغة الأردية ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الإنجليزية بعنوان (HAJ GUIDE) .
(٩) الشيوعية فى الميزان (تحت الطبع) .
(١٠) نوابغ الفكر الإسلامى فى شبه القارة الهندية (تحت الطبع) .

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

★★★